۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

(قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ)

و هم الأشراف و الكبراء منهم الذين اتبعوا أهواءهم و لهوا بلذاتهم، فلما أتاهم الحق و رأوه غير موافق لأهوائهم الرديئة، ردوه و استكبروا عنه، فقالوا لنبيهم شعيب و من معه من المؤمنين المستضعفين:

(لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ)

استعملوا قوتهم السبعية، في مقابلة الحق،

و لم يراعوا دينا و لا ذمة و لا حقا،

و إنما راعوا و اتبعوا أهواءهم و عقولهم السفيهة التي دلتهم على هذا القول الفاسد،

فقالوا: إما أن ترجع أنت و من معك إلى ديننا أو لنخرجنكم من قريتنا.

ف (شعيب)

عليه الصلاة و السلام كان يدعوهم طامعا في إيمانهم،

و الآن لم يسلم من شرهم، حتى توعدوه إن لم يتابعهم – بالجلاء عن وطنه،

الذي هو و من معه أحق به منهم.

ف (قَالَ)

لهم شعيب عليه الصلاة و السلام متعجبا من قولهم:

(أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ)

أي: أنتابعكم على دينكم و ملتكم الباطلة،و لو كنا كارهين لها لعلمنا ببطلانها،

فإنما يدعى إليها من له نوع رغبة فيها،

أما من يعلن بالنهي عنها، و التشنيع على من اتبعها فكيف يدعى إليها؟

(قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا)

أي: اشهدوا علينا أننا إن عدنا إليها بعد ما نجانا اللّه منها و أنقذنا من شرها،

أننا كاذبون مفترون على اللّه الكذب،

فإننا نعلم أنه لا أعظم افتراء ممن جعل للّه شريكا،

و هو الواحد الأحد الفرد الصمد،

الذي لم يتخذ ولدا و لا صاحبة، و لا شريكا في الملك.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾

***خير الحاكمين فإنه العادل الذي لا يجور أبدا

أي: يمتنع على مثلنا أن نعود فيها، فإن هذا من المحال،

فآيسهم عليه الصلاة و السلام من كونه يوافقهم من وجوه متعـــــددة:-

1-من جهة أنهم كــــــارهون لها مبغضون لما هم عليه من الشرك.

2-و من جهة أنه جعـــــل ما هم عليه كذبا،

و أشهدهم أنه إن اتبعهم و من معه فإنهم كاذبون.

3- اعترافهـــــم بمنة اللّه عليهم إذ أنقذهم اللّه منها.

4- أن عودهـــــم فيها - بعد ما هداهم اللّه - من المحالات،

بالنظر إلى حالتهم الراهنة،

و ما في قلوبهم من تعظيم اللّه تعالى و الاعتراف له بالعبودية،

و أنه الإله وحده الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له،

و أن آلهة المشركين أبطل الباطل، و أمحل المحال.

و حيث إن اللّه منَّ عليهم بعقول يعــــرفـــون بهــــا :-

الحق و الباطل، و الهدى و الضلال.

و أما من حيث النظر إلى مشيئة اللّه و إرادته النافذة في خلقه،

التي لا خروج لأحد عنها، و لو تواترت الأسباب و توافقت القوى،

فإنهم لا يحكمون على أنفسهم أنهم سيفعلون شيئا أو يتركونه،

و لهذا استثنى:–

(وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ)

أي: فلا يمكننا و لا غيرنا، الخروج عن مشيئته التابعة لعلمه و حكمته،

و قد (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ)

فيعلم ما يصلح للعباد و ما يدبرهم عليه.

(عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ)

أي: اعتمدنا أنه سيثبتنا على الصراط المستقيم،

و أن يعصمنا من جميع طرق الجحيم،

فإن من توكل على اللّه، كفاه، و يسر له أمر دينه و دنياه.

(رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ)

أي: انصر المظلوم، و صاحب الحق، على الظالم المعاند للحق

(وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ)

<u>و فتحـــــه تعالى لعبـــــاده نـــــوعـــــــان:–</u>

1-فتح العلـــــم، بتبيين الحق من الباطل، و الهدى من الضلال،

و من هو من المستقيمين على الصراط، ممن هو منحرف عنه.

2-فتحه بالجــــزاء و إيقاع العقوبة على الظالمين،

و النجـــاة و الإكـــرام للصالحين،

فسألوا اللّه أن يفتح بينهم و بين قومهم بالحق و العدل،

و أن يريهم من آياته و عبره ما يكون فاصلا بين الفريقين.

(وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ)

محذرين عن اتباع شعيب،

(لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ)

هذا ما سولت لهم أنفسهم أن الخسارة و الشقاء في اتباع الرشد و الهدى،

و لم يدروا أن الخسارة كل الخسارة في لزوم ما هم عليه مـــــن :-

[الضــــلال و الإضــــلال]

و قد علموا ذلك حين وقع بهم النكال.

(فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ)

أي: الزلزلة الشديدة

***** أَخْبَرَ تَعَالَى هَاهُنَا أَنَّهُمْ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**

كَمَا أَرْجَفُوا شُعَيْبًا وَ أَصْحَابَهُ وَ تَوَعَّدُوهُمْ بِالْجَلَاءِ،

كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ "هُودٍ" فَقَالَ:

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ}
[هُودٍ:94]
وَالْمُنَاسَبَةُ فِي ذَلِكَ –وَ اللَّهُ أَعْلَمُ -أَنَّهُمْ لَمَّا تَهَكَّمُوا بِنَبِيِّ اللَّهِ شُعَيْبٍ فِي قَوْلِهِمْ: {أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} [هُودٍ: 87]
فَجَاءَتِ الصَّيْحَةُ فَأَسْكَتَتْهُمْ.
وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ:
{فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}
[الشُّعَرَاءِ:189]
وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ فِي سِيَاقِ الْقِصَّةِ:
{فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[الشُّعَرَاءِ:187]
فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَصَابَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ، وَ قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ كُلُّهُ:
1-أَصَابَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ،"
وَ هِيَ سَحَابَةٌ أَظَلَّتْهُمْ فِيهَا شَرَرٌ مِنْ نَارٍ ولَهَب و وهَج عَظِيمٍ،
2-ثُمَّ جَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ
3-وَ رَجْفَةٌ مِنَ الْأَرْضِ شَدِيدَةٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ،
فَزَهَقَتِ الْأَرْوَاحُ، وَ فَاضَتِ النُّفُوسُ وَ خَمَدَتِ الْأَجْسَادُ،

(فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ)

أي: صرعى ميتين هامدين.

***الميسر :لاصقين بالأرض على رُكَبهم و وجوههم،**

قال تعالى ناعيا حالهم

(ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ)

أي: كأنهم ما أقاموا في ديارهم،

و كأنهم ما تمتعوا في عرصاتها،

و لا تفيئوا في ظلالها،

و لا غنوا في مسارح أنهارها،

و لا أكلوا من ثمار أشجارها،

حين فاجأهم العذاب،

فنقلهم من مورد اللهو و اللعب و اللذات، إلــــــى:-

مستـــــــقر الحـــــــزن و الشقـــــاء و العقـــــاب و الــــــدركات

و لهذا قال: (ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ)

أي: الخسار محصور فيهم،

لأنهم خسروا دينهم و أنفسهم و أهليهم يوم القيامة،

ألا ذلك هو الخسران المبين، لا من قالوا لهم:

(لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ) .

فحين هلكوا تولى عنهم نبيهم شعيب عليه الصلاة و السلام

وَ قَالَ معاتبا و موبخا و مخاطبا بعد موتهم:

(فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي)

أي: أوصلتها إليكم، و بينتها حتى بلغت منكم أقصى ما يمكن أن تصل إليه،
و خالطت أفئدتكم

(وَنَصَحْتُ لَكُمْ)

فلم تقبلوا نصحي، و لا انقدتم لإرشادي،
بل فسقتم و طغيتم.

(فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ)

***الميسر:فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله و كذبوا رسله؟**

أي: فكيف أحزن على قوم لا خير فيهم، أتاهم الخير فـــــ:-

1-ردوه

2-و لـــــم يقبلوه و لا يليق بهم إلا الشر،

فهؤلاء غير حقيقين أن يحزن عليهم،
بل يفرح بإهلاكهم و محقهم.

فعياذا بك اللهم من الخزي و الفضيحة،
و أي شقاء و عقوبة أبلغ من أن يصلوا إلى حالة يتبرأ منهم أنصح الخلق لهم؟

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩٥

يقول تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ)

يدعوهم إلى عبادة اللّه، و ينهاهم عن ما هم فيه من الشر،

فلم ينقادوا له:

(إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا)

إلا ابتلاهم الله

(بِٱلۡبَأۡسَآءِ)

أي: بالفقر (((***الحاجة)))

(وَٱلضَّرَّآءِ)

المرض و أنواع البلايا

(لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ)

إذا أصابتهم، أخضعت نفوسهم فتضرعوا إلى الله و استكانوا للحق.

*الميسر: رجاء أن يستكينوا،و ينيبوا إلى الله،و يرجعوا إلى الحق.

(ثُمَّ)

إذا لم يفد فيهم، و استمر استكبارهم، و ازداد طغيانهم.

***فقلب عليهم الحال ليختبرهم فيه

(بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ)

فَأدَرَّ عليهم الأرزاق، و عافى أبدانهم، و رفع عنهم البلاء

(حَتَّىٰ عَفَواْ)

أي: كثروا، و كثرت أرزاقهم و انبسطوا في نعمة اللّه و فضله،

و نسوا ما مر عليهم من البلاء.

(وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ)

أي: هذه عادة جارية لم تزل موجودة في الأولين و اللاحقين،

تارة يكونون في سراء

و تارة في ضراء،

و تارة في فرح،

و مرة في ترح،

على حسب تقلبات الزمان و تداول الأيام،

و حسبوا [أنها ليست للموعظـــــة و التذكيـــــر،]

و [لا للاستـــــدراج و النكيـــــر] حتى إذا اغتبطوا،

و فرحوا بما أوتوا، و كانت الدنيا، أسر ما كانت إليهم،

(فَأَخَذْنَٰهُم)

بالعذاب

(بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ)

***فجأة

أي: لا يخطر لهم الهلاك على بال،

و ظنوا أنهم قادرون على ما آتاهم اللّه،

و أنهم غير زائلين و لا منتقلين عنه.

*** الميسر:فأخذناهم بالعذاب فجأة و هم آمنون،**

لا يخطر لهم الهلاك على بال

*** ابْتَلَاهُمْ بِهَذَا وَ هَذَا لِيَتَضَرَّعُوا و يُنِيبوا إِلَى اللَّهِ،

فَمَا نَجع فِيهِمْ لَا هَذَا وَ لَا هَذَا، وَ لَا انْتَهَوْا بِهَذَا وَ لَا بِهَذَا

بَلْ قَالُوا: قَدْ مَسَّنَا مِنَ الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ،

ثُمَّ بَعْدَهُ مِنَ الرَّخَاءِ مِثْلُ مَا أَصَابَ آبَاءَنَا فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ،

وَ إِنَّمَا هُوَ الدَّهْرُ تَارَاتٌ وَ تَارَاتٌ،

وَ لَمْ يَتَفَطَّنُوا لِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِمْ،

وَ لَا اسْتَشْعَرُوا ابْتِلَاءَ اللَّهِ لَهُمْ فِي الْحَالَيْنِ.

○وَ هَذَا بِخِلَافِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى السَّرَّاءِ،

وَ يَصْبِرُونَ عَلَى الضَّرَّاءِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ:

*** صحيح مسلم

(2999) عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،

وَ لَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،

إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،

وَ إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»

وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن

كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا

وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾

أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمۡ يَهۡدِ

لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ

قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ

رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ

عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ

لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ

كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٠٣﴾

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن

كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا

وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾
أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

لما ذكر تعالى أن المكذبين للرسل

يبتلون بالضراء[موعظة و إنذارا،]

و بالسراء[استدراجا و مكرا،]

ذكر (وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ)

لو آمنوا بقلوبهم إيمانا صادقا صدقته الأعمال،

(وَٱتَّقَوۡاْ)

و استعملوا تقوى اللّه تعالى ظاهرا و باطنا بترك جميع ما حرم اللّه،

(لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ)

لفتح عليهم بركات السماء و الأرض،

فأرسل السماء عليهم مدرارا،

و أنبت لهم من الأرض ما به يعيشون و تعيش بهائمهم،

في أخصب عيش و أغزر رزق، من غير عناء و لا تعب، و لا كد و لا نصب،

(وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم)

و لكنهم لم يؤمنوا و يتقوا

(بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ)

بالعقوبات و البلايا و نزع البركات، و كثرة الآفات،

و هي بعض جزاء أعمالهم،

و إلا فلو آخذهم بجميع ما كسبوا، ما ترك عليها من دابة.

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الروم: ٤١

(أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ)

أي: المكذبة، بقرينة السياق

(أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا)

أي: عذابنا الشديد

(بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ)

***ليلا

أي: في غفلتهم، و غرتهم و راحتهم.

(أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ)

*الميسر:و هم غافلون متشاغلون بأمور دنياهم

❍أي: أي شيء يؤمنهم من ذلك، و هم قد فعلوا أسبابه،

و ارتكبوا من الجرائم العظيمة، ما يوجب بعضه الهلاك؟!

(أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ)

حيث يستدرجهم من حيث لا يعلمون، و يملي لهم، إن كيده متين،

(فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ)

فإن من أَمِنَ من عذاب اللّه، فهو لم يصدق بالجزاء على الأعمال،

و لا آمن بالرسل حقيقة الإيمان.

و هذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ:-

على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنا على ما معه من الإيمان.

بل لا يزال خائفا وجلا أن يبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان،

و أن لا يزال داعيا بقوله: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)

و أن يعمل و يسعى، في كل سبب يخلصه من الشر، عند وقوع الفتن،

فإن العبد – و لو بلغت به الحال ما بلغت – فليس على يقين من السلامة.

*** وَ لِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ:-

الْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ بِالطَّاعَاتِ وَ هُوَ مُشْفِق وَجِل خَائِفٌ،

وَ الْفَاجِرُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي وَ هُوَ آمِنٌ.

أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى منبها للأمم الغابرين بعد هلاك الأمم الغابرين

(أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ)

أي: أو لم يتبين و يتضح للأمم الذين ورثوا الأرض،

(مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ)

بعد إهلاك من قبلهم بذنوبهم،

ثم عملوا كأعمال أولئك المهلكين؟.

أو لم يهتدوا

(أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ)

أن الله لو شاء لأصابهم بذنوبهم،

فإن هذه سنته في الأولين و الآخرين.

و قوله: (وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ)

أي: إذا نبههم اللّه فلم ينتبهوا،

و ذكرهم فلم يتذكروا،

و هداهم بالآيات و العبر فلم يهتدوا،

فإن اللّه تعالى يعاقبهم و يطبع على قلوبهم،

فيعلوها الران و الدنس، حتى يختم عليها، فلا يدخلها حق،

و لا يصل إليها خير، و لا يسمعون ما ينفعهم،

و إنما يسمعون ما به تقوم الحجة عليهم.

(تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ) الذين تقدم ذكرهم

(نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ)

***من أخبارها

ما يحصل به عبرة للمعتبرين، و ازدجار للظالمين، و موعظة للمتقين.

(وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ)

أي:و لقد جاءت هؤلاء المكذبين رسلهم تدعوهم إلى ما فيه سعادتهم،

و أيدهم اللّه بالمعجزات الظاهرة، و البينات المبينات للحق بيانا كاملا

و لكنهم لم يفدهم هذا، و لا أغنى عنهم شيئا،

(فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ)

أي: بسبب تكذيبهم و ردهم الحق أول مرة، ما كان الله ليهديهم للإيمان،

جزاء لهم على ردهم الحق،

كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الأنعام: ١١٠

(كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ)

عقوبة منه. و ما ظلمهم اللّه و لكنهم ظلموا أنفسهم.

(وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم)

أي:و ما وجدنا لأكثر الأمم الذين أرسل اللّه إليهم الرسل

(مِّنْ عَهْدٍۖ)

أي:–من ثبات و التزام لوصية اللّه التي أوصى بها جميع العالمين،

و لا انقادوا لأوامره التي ساقها إليهم على ألسنة رسله.

(وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ)

أي: خارجين عن طاعة اللّه، متبعين لأهوائهم بغير هدى من اللّه،

فاللّه تعالى امتحن العباد بإرسال الرسل و إنزال الكتب،

و أمرهم باتباع عهده و هداه، فلم يمتثل لأمره إلا القليل من الناس،

الذين سبقت لهم من اللّه سابقة السعادة.

و أما أكثر الخلق فأعرضوا عن الهدى، و استكبروا عما جاءت به الرسل،

فأحل اللّه بهم من عقوباته المتنوعة ما أحل.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ)

أي: ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى الكليم، الإمام العظيم،

و الرسول الكريم، إلى قوم عتاة جبابرة،

و هم فرعون و

(وَمَلَإِيْهِۦ)

من أشرافهم و كبرائهم،

فأراهم من آيات اللّه العظيمة ما لم يشاهد له نظير

(فَظَلَمُواْ بِهَاۖ)

بأن لم ينقادوا لحقها الذي من لم ينقد له فهو ظالم، بل استكبروا عنها.

***جحدوا و كفروا بها ظلما منهم و عنادا

(فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ)

كيف أهلكهم اللّه، و أتبعهم الذم و اللعنة في الدنيا و يوم القيامة،

بئس الرفد المرفود، و هذا مجمل فصله بقوله: -

(وَقَالَ مُوسَىٰ)

*** يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ مُنَاظَرَةِ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ،

وَ إِلْجَامِهِ إِيَّاهُ بِالْحُجَّةِ،

وَ إِظْهَارِهِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ بِحَضْرَةِ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ مِنْ قِبْطِ مِصْرَ،

❍حين جاء إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان.

(يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

أي: إني رسول من مرسل عظيم، و هو رب العالمين،

الشامل للعالم العلوي و السفلي، مربي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية،

التي من جملتها أنه لا يتركهم سدى،

بل يرسل إليهم الرسل مبشرين و منذرين،

و هو الذي لا يقدر أحد أن يتجرأ عليه، و يدعي أنه أرسله و لم يرسله.

فإذا كان هذا شأنه،

و أنا قد اختارني و اصطفاني لرسالته،

فحقيق علي أن لا أكذب عليه، و لا أقول عليه إلا الحق.

فإني لو قلت غير ذلك لعاجلني بالعقوبة، و أخذني أخذ عزيز مقتدر.

فهذا موجب لأن ينقادوا له و يتبعوه،

خصوصا و قد جاءهم ببينة من اللّه واضحة على صحة ما جاء به من الحق،

فوجب عليهم أن يعملوا بمقصود رسالته،

و لهـــا مقصـــــودان عظيمـــــان:-

1-إيمـــــانهم به،

2-و اتبـــــاعهم له،

و إرسال بني إسرائيل الشعب الذي فضله اللّه على العالمين،

أولاد الأنبياء، و سلسلة يعقوب عليه السلام،

الذي موسى عليه الصلاة و السلام واحد منهم.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ
مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ
﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ
أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾
يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن
كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ
إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۩ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

(حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ)

***جَدِيرٌ بِذَلِكَ وَ حَرِيٌّ بِهِ.

(قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)

*** بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ مِنَ اللهِ، أَعْطَانِيهَا دَلِيلًا عَلَى صِدْقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ،

{فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ }

أَيْ: أَطْلِقْهُمْ مِنْ أسْرك وَ قَهْرِكَ،
وَ دَعْهُمْ وَ عِبَادَةَ رَبِّكَ وَ رَبِّهِمْ؛
فَإِنَّهُمْ مِنْ سُلَالَةِ نَبِيٍّ كَرِيمٍ إِسْرَائِيلَ،
وَ هُوَ: يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ الرَّحْمَنِ

(قَالَ) له فرعون:

(إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)

(فَأَلْقَىٰ) موسى

(عَصَاهُ) في الأرض

(فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ)

أي: حية ظاهرة تسعى، و هم يشاهدونها.

(وَنَزَعَ يَدَهُۥ) من جيبه

(فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ)

من غير سوء،فهاتان آيتان كبيرتان دالتان على صحة ما جاء به موسى و صدقه،

و أنه رسول رب العالمين،

و لكن الذين لا يؤمنون لو جاءتهم كل آية لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.

***كقوله﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾النمل: ١٢

فلهذا (قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ)

حين بهرهم ما رأوا من الآيات، و لم يؤمنوا، و طلبوا لها التأويلات الفاسدة:

***قَالَ الْمَلَأُ -وَ هُمُ الْجُمْهُورُ وَالسَّادَةُ مِنْ قَوْم فِرْعَوْنَ -
مُوَافِقِينَ لِقَوْلِ فِرْعَوْنَ فِيهِ، بَعْدَ مَا رَجَعَ إِلَيْهِ رَوْعه،
وَ اسْتَقَرَّ عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ،

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ -: (إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ)

أي: ماهر في سحره.

ثم خوفوا ضعفاء الأحلام و سفهاء العقول،

***فَوَافَقُوهُ وَ قَالُوا كَمَقَالَتِهِ،

بأنه

(يُرِيدُ) موسى بفعله هذا

(أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ)

أي: يريد أن يجليكم عن أوطانكم

(فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ)

أي: إنهم تشاوروا فيما بينهم ما يفعلون بموسى،

و ما يندفع به ضرره بزعمهم عنهم،

فإن ما جاء به إن لم يقابل بما يبطله و يدحضه،

و إلا دخل في عقول أكثر الناس.

فحينئذ انعقد رأيهم إلى أن

(قَالُوٓاْ) لفرعون:–

(أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ)

***أخرهما

أي: احبسهما و أمهلهما،

(وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ)

و ابعث في المدائن أناسا يحشرون أهل المملكة

(يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ)

و يأتون بكل سحار عليم،

أي: يجيئون بالسحرة المهرة، ليقابلوا ما جاء به موسى،

﴿ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٍ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدًا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ٥٨ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾طه: ٥٧ - ٦٠

و قال هنا: (وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ)

طالبين منه الجزاء إن غلبوا

ف (قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ)؟

ف (قَالَ) فرعون: (نَعَمۡ)

لكم أجر

(وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ)

فوعدهم الأجر و التقريب، و علو المنزلة عنده،

ليجتهدوا و يبذلوا وسعهم و طاقتهم في مغالبة موسى.

فلما حضروا مع موسى بحضرة الخلق العظيم

(قَالُواْ) على وجه التألي و عدم المبالاة بما جاء به موسى:

(يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ) ما معك

(وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ)

***أَيْ: قَبْلك. كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:
{وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى} [طه:65]

ف (قَالَ) موسى:

(أَلۡقُواْۖ) لأجل أن يرى الناس ما معهم و ما مع موسى.

***وَ الْحِكْمَةُ فِي هَذَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ -لِيَرَى النَّاسُ صَنِيعَهُمْ وَ يَتَأَمَّلُوهُ،
فَإِذَا فُرغ مِنْ بَهْرَجِهِمْ وَ مُحَالِهِمْ،
جَاءَهُمُ الْحَقُّ الْوَاضِحُ الْجَلِيُّ بَعْدَ تَطَلُّبٍ لَهُ وَ الِانْتِظَارِ مِنْهُمْ لِمَجِيئِهِ،
فَيَكُونَ أَوْقَعَ فِي النُّفُوسِ. وَ كَذَا كَانَ.

(فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ)

حبالهم و عصيهم، إذا هي من سحرهم كأنها حيات تسعى،

ف (سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ)

لم يوجد له نظير من السحر.

(وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ)

*الميسر :و أرهبوا الناس إرهابًا شديدًا،

(وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ)

*الميسر:و جاؤوا بسحر قوي كثير

*** أَيْ: خَيَّلُوا إِلَى الْأَبْصَارِ أَنَّ مَا فَعَلُوهُ لَهُ حَقِيقَةٌ فِي الْخَارِجِ، وَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُجَرَّدَ صَنْعَةٍ وَ خَيَالٍ،

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه:66: 69] .

(وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ)

حية تسعى،

ف (تَلۡقَفُ)

***تأكل

جميع

(مَا يَأْفِكُونَ (أي: يكذبون به و يموهون.

(فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ) أي: تبين و ظهر، و استعلن في ذلك المجمع،

(وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ).

***الميسر :و بطل الكذب الذي كانوا يعملونه.**

(فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ) أي: في ذلك المقام

(وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ)

أي: حقيرين قد اضمحل باطلهم، و تلاشى سحرهم،

و لم يحصل لهم المقصود الذي ظنوا حصوله.

و أعظم من تبين له الحق العظيم أهل الصنف و السحر،

الذين يعرفون من أنواع السحر و جزئياته، ما لا يعرفه غيرهم،

فعرفوا أن هذه آية عظيمة من آيات اللّه لا يدان لأحد بها.

*** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَجَعَلَتْ لَا تَمُرّ بِشَيْءٍ مِنْ حِبَالِهِمْ وَ لَا مِنْ خُشُبهم إِلَّا الْتَقَمَتْهُ، فَعَرَفَتِ السَّحَرَةُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ،
وَ لَيْسَ هَذَا بِسِحْرٍ، فَخَرُّوا سُجَّدًا

وَ قَالُوا: (وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ)

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

(قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ)

أي: و صدقنا بما بعث به موسى من الآيات البينات.

ف (قَالَ) لَهُمْ (فِرۡعَوۡنُ)

متهددا على الإيمان:

(ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ)

كان الخبيث حاكما مستبدا على الأبدان و الأقوال،

قد تقرر عنده و عندهم أن قوله هو المطاع، و أمره نافذ فيهم،

و لا خروج لأحد عن قوله و حكمه،

❍و بهذه الحالة تنحط الأمم و تضعف عقولها و نفوذها،

و تعجز عن المدافعة عن حقوقها،

و لهذا قال اللّه عنه:

﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾الزخرف: ٥٤

و قال هنا: (ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ)

أي: فهذا سوء أدب منكم و تجرؤ عَليَّ.

ثم موه على قومه و قال

(إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ)

***كقوله﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ ﴾طه: ٧١

أي: إن موسى كبيركم الذي علمكم السحر،

فتواطأتم أنتم و هو على أن تنغلبوا له، فيظهر فتتبعوه،

ثم يتبعكم الناس أو جمهورهم فتخرجوا منها أهلها.

و هذا كذب يعلم هو و من سبر الأحوال، أن موسى عليه السلام

لم يجتمع بأحد منهم، و أنهم جمعوا على نظر فرعون و رسله،

و أن ما جاء به موسى آية إلهية،

و أن السحرة قد بذلوا مجهودهم في مغالبة موسى، حتى عجزوا،

و تبين لهم الحق، فاتبعوه.

ثم توعدهم فرعون بقوله:

(فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)

ما أُحِلُ بكم من العقوبة.

(لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ)

زعم الخبيث أنهم مفسدون في الأرض،

و سيصنع بهم ما يصنع بالمفسدين، من تقطيع الأيدي و الأرجل من خلاف،

أي: اليد اليمنى و الرجل اليسرى.

(ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ)

في جذوع النخل، لتختزوا بزعمه

(أَجْمَعِينَ)

أي: لا أفعل هذا الفعل بأحد دون أحد،

بل كلكم سيذوق هذا العذاب.

فقال السحرة الذين آمنوا لفرعون حين تهددهم

(قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ)

أي: فلا نبالي بعقوبتك، فاللّه خير و أبقى، فاقض ما أنت قاض.

*** قَدْ تَحَقَّقْنَا أَنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَ عَذَابُهُ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِكَ،
وَ نَكَالُهُ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ،
وَ مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ، أَعْظَمُ مِنْ نَكَالِكَ،
فَلَنَصْبِرَنَّ الْيَوْمَ عَلَى عَذَابِكَ لِنَخْلُصَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ،

(وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ)

أي: و ما تعيب منا على إنكارك علينا و توعدك لنا ؟ فليس لنا ذنب

(إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ)

فإن كان هذا ذنبا يعاب عليه، و يستحق صاحبه العقوبة، فهو ذنبنا.

ثم دعوا اللّه أن يثبتهم و يصبرهم فقالوا:

(رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا)

أي: أفض عَلَيْنَا

*** عُمَّنَا بِالصَّبْرِ عَلَى دِينِكَ، وَ الثَّبَاتِ عَلَيْهِ،

(صَبْرًا)

أي: عظيما، كما يدل عليه التنكير، لأن هذه محنة عظيمة،

تؤدي إلى ذهاب النفس، فيحتاج فيها من الصبر إلى شيء كثير،

ليثبت الفؤاد، و يطمئن المؤمن على إيمانه، و يزول عنه الانزعاج الكثير.

(وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)

*** مُتَابِعِينَ لِنَبِيِّكَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أي: منقادين لأمرك، متبعين لرسولك،

و الظاهر أنه أوقع بهم ما توعدهم عليه،

و أن اللّه تعالى ثبتهم على الإيمان.

هذا و فرعون و ملؤه وعامتهم المتبعون للملأ

قد استكبروا عن آيات اللّه، و جحدوا بها ظلما و علوا،

وَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ: {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَ كْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُالدَّرَجَاتُ الْعُلا} [طه:72-75]

***فَكَانُوا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ سَحَرَةً، فَصَارُوا فِي آخِرِهِ شُهَدَاءَ بَرَرَةً.

(وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ)

و قالوا لفرعون مهيجين له على الإيقاع بموسى،

و زاعمين أن ما جاء باطل و فساد:

(أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ)

*** أَتَدَعُهُمْ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ، أَيْ:-

يُفْسِدُوا أَهْلَ رَعِيَّتِكَ وَ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ دُونَكَ، يَالَلَّهِ لِلْعَجَبِ!

صَارَ هَؤُلَاءِ يُشْفِقُونَ مِنْ إِفْسَادِ مُوسَى وَ قَوْمِهِ!

أَلَا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمَهُ هُمُ الْمُفْسِدُونَ، وَ لَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ؛

❍بالدعوة إلى اللّه، و إلى مكارم الأخلاق و محاسن الأعمال،

التي هي الصلاح في الأرض، و ما هم عليه هو الفساد،

و لكن الظالمين لا يبالون بما يقولون.

(وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ)

***الميسر:و ترك عبادتك و عبادة آلهتك**

قَالَ بَعْضُهُمْ: "الْوَاوُ" هُنَا حَالِيَّةٌ، أَيْ: -

أَتَذِرُهُ وَ قَوْمَهُ يُفْسِدُونَ وَ قَدْ تَرَكَ عبادتك؟

❍أي: يدعك أنت و آلهتك، و ينهى عنك، و يصد الناس عن اتباعك.

فـ (قَالَ)

فرعون مجيبا لهم، بأنه سيدع بني إسرائيل مع موسى بحالة لا ينمون فيها،

و يأمن فرعون و قومه – بزعمه – من ضررهم:

(سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحِۦ نِسَآءَهُمْ)

أي: نستبقيهن فلا نقتلهن، فإذا فعلنا ذلك أمنا من كثرتهم،

و كنا مستخدمين لباقيهم، و مسخرين لهم على ما نشاء من الأعمال

(وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ)

لا خروج لهم عن حكمنا، و لا قدرة،

و هذا نهاية الجبروت من فرعون و العتو و القسوة.

ف ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ﴾

موصيا لهم في هذه الحالة، – التي لا يقدرون معها على شيء،

و لا مقاومة – بالمقاومة الإلهية، و الاستعانة الربانية:

﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ﴾

أي: اعتمدوا عليه في جلب ما ينفعكم، و دفع ما يضركم،

و ثقوا باللّه ، أنه سيتم أمركم

﴿وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾

أي: الزموا الصبر على ما يحل بكم، منتظرين للفرج.

﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ﴾

ليست لفرعون و لا لقومه حتى يتحكموا فيها

﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾

أي: يداولها بين الناس على حسب مشيئته و حكمته،

لكن ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾،

فإنهم – و إن امتحنوا مدة ابتلاء من اللّه و حكمة، فإن النصر لهم،

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾

الحميدة لهم على قومهم و هذه وظيفة العبد،

أنه عند القدرة، أن يفعل من الأسباب الدافعة عنه أذى الغير، ما يقدر عليه، و عند العجز، أن يصبر و يستعين اللّه، و ينتظر الفرج.

(قَالُوٓاْ)

لموسى متضجرين من طول ما مكثوا في عذاب فرعون، و أذيته

(أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا)

فإنهم يسوموننا سوء العذاب، يذبحون أبناءنا و يستحيون نساءنا

(وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ)

كذلك ف(قَالَ)

لهم موسى مرجيا لهم الفرج و الخلاص من شرهم:-

(عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

أي: يمكنكم فيها، و يجعل لكم التدبير فيها

***وَ هَذَا تَحْضِيضٌ لَهُمْ عَلَى الْعَزْمِ عَلَى الشُّكْرِ، عِنْدَ حُلُولِ النِّعَمِ وَ زَوَالِ النِّقَمِ.

(فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ)

هل تشكرون أم تكفرون؟.

و هذا وعد أنجزه اللّه لما جاء الوقت الذي أراده اللّه.

قال اللّه تعالى في بيان ما عامل به آل فرعون في هذه المدة الأخيرة،

أنها على عادته و سنته في الأمم، أن يأخذهم بالبأساء و الضراء، لعلهم يضرعون. الآيات:

(وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ)

أي: بالدهور و الجدب،

(وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ)

أي: يتعظون أن ما حل بهم و أصابهم معاتبة من اللّه لهم، لعلهم يرجعون عن كفرهم، فلم ينجع فيهم و لا أفاد، بل استمروا على الظلم و الفساد.

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

(فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ) أي: الخصب و إدرار الرزق

(قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ) أي: نحن مستحقون لها، فلم يشكروا اللّه عليها

(وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ) أي: قحط و جدب

(يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ)

أي: يقولوا: إنما جاءنا بسبب مجيء موسى، و اتباع بني إسرائيل له.

قال اللّه تعالى: (أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ)

أي: بقضائه و قدرته، ليس كما قالوا،

بل إن ذنوبهم و كفرهم هو السبب في ذلك،

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)

أي: فلذلك قالوا ما قالوا.

(وَقَالُواْ)

مبينين لموسى أنهم لا يزالون، و لا يزولون عن باطلهم

(مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ)

أي: قد تقرر عندنا أنك ساحر، فمهما جئت بآية، جزمنا أنها سحر،

فلا نؤمن لك و لا نصدق،

و هذا غاية ما يكون من العناد،

أن يبلغ بالكافرين إلى أن تستوي عندهم الحالات،

سواء نزلت عليهم الآيات أم لم تنزل.

(فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ)

أي: الماء الكثير الذي أغرق أشجارهم و زروعهم،و أضر بهم ضررا كثيرا

(وَٱلۡجَرَادَ)

فأكل ثمارهم و زروعهم، و نباتهم

***و أما الجراد فمعروف مشهور و هو مأكول

صحيح البخاري

5495 - عن ابْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

«غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺسَبْعَ غَزَوَاتٍ أَوْ سِتًّا، كُنَّا نَأْكُلُ مَعَهُ الجَرَادَ»

(وَٱلْقُمَّلَ)

قيل: إنه الدباء، أي: صغار الجراد، و الظاهر أنه القمل المعروف

*** وَ هِيَ دَابَّةٌ تُشْبِهُ القَمْل، تَأْكُلُهَا الْإِبِلُ، فِيمَا بَلَغَنِي،

وَ هِيَ الَّتِي عَنَاهَا الْأَعْشَى بِقَوْلِهِ:

قَوْمٌ تُعَالِجُ قُمَّلا أَبْنَاؤُهُمْ *** وَسَلَاسِلًا أجُدا وَ بَابًا مُؤْصَدَا

*** هُوَ السُّوسُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْحِنْطَةِ

*** دَوَابٌّ سُودٌ صِغَارٌ.

(وَٱلضَّفَادِعَ)

فملأت أوعيتهم، و أقلقتهم، و آذتهم أذية شديدة

(وَٱلدَّمَ)

إما أن يكون الرعاف،

أو كما قال كثير من المفسرين، أن ماءهم الذي يشربون انقلب دما،

فكانوا لا يشربون إلا دما، و لا يطبخون إلا بدم.

(ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ)

أي: أدلة و بينات على أنهم كانوا كاذبين ظالمين،

و على أن ما جاء به موسى، حق و صدق

(فَٱسۡتَكۡبَرُواْ)

ما رأوا الآيات

(وَكَانُواْ)في سابق أمرهم

(قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ)

فلذلك عاقبهم اللّه تعالى، بأن أبقاهم على الغي و الضلال.

(وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ)

أي: العذاب، يحتمل أن المراد به:– الطاعون، كما قاله كثير من المفسرين،

و يحتمل أن يراد به ما تقدم من الآيات:–

الطوفان، و الجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم، فإنها رجز و عذاب،

و أنهم كلما أصابهم واحد منها

(قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ)

أي: تشفعوا بموسى بما عهد اللّه عنده من الوحي و الشرع،

(لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)

و هم في ذلك كذبة، لا قصد لهم إلا زوال ما حل بهم من العذاب،

و ظنوا إذا رفع لا يصيبهم غيره.

(فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ)

أي: إلى مدة قدر اللّه بقاءهم إليها، و ليس كشفا مؤبدا، و إنما هو مؤقت،

(إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ)

العهد الذي عاهدوا عليه موسى، و وعدوه بالإيمان به، و إرسال بني إسرائيل،

فلا آمنوا به و لا أرسلوا معه بني إسرائيل،

بل استمروا على كفرهم يعمهون، و على تعذيب بني إسرائيل دائبين.

(فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ)

أي: حين جاء الوقت المؤقت لهلاكهم،

أمر اللّه موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلا

و أخبره أن فرعون سيتبعهم هو و جنوده

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾الشعراء: ٥٣

يجمعون الناس ليتبعوا بني إسرائيل،

و قالوا لهم:﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ

ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ الشعراء: ٥٤ - ٦٦

و قال هنا: (فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ)

أي: بسبب تكذيبهم بآيات اللّه و إعراضهم عما دلت عليه من الحق.

(وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ)

في الأرض، أي: بني إسرائيل الذين كانوا خدمة لآل فرعون،

يسومونهم سوء العذاب أورثهم اللّه

(مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا)

***الشام

و المراد بالأرض هاهنا، أرض مصر، التي كانوا فيها مستضعفين، أذلين، أي:

ملكهم اللّه جميعا، و مكنهم فيها

(ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ)

***الميسر :** **و تمت كلمة ربك -أيها الرسول- الحسنى على بني إسرائيل بالتمكين لهم في الأرض؛**

بسبب صبرهم على أذى فرعون و قومه،

حين قال لهم موسى:

﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾الأعراف: ١٢٨

***كقوله﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴾القصص: ٥ - ٦

(وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ)

من الأبنية الهائلة، و المساكن المزخرفة

(وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ)

***يبنون

﴿ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ النمل: ٥٢

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۖ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

(وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ)

بعد ما أنجاهم اللّه من عدوهم فرعون و قومه،

و أهلكهم اللّه، و بنو إسرائيل ينظرون.

(فَأَتَوۡاْ) أي: مروا

(عَلَىٰ قَوۡمٍ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٍ لَّهُمۡۚ)

أي: يقيمون عندها و يتبركون بها، و يعبدونها.

ف (قَالُواْ)

من جهلهم و سفههم لنبيهم موسى بعدما أراهم الله من الآيات ما أراهم

(يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ)

أي: اشرع لنا أن نتخذ أصناما آلهة كما اتخذها هؤلاء.

ف (قَالَ) لهم موسى:

(إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ)

و أي جهل أعظم من جهل من جهل ربه و خالقه

و أراد أن يسوي به غيره، ممن لا يملك :-

نفعا و لا ضرا، و لا موتا و لا حياة و لا نشورا؟

و لهذا قال لهم موسى

(إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ)

***هالك

(مَّا هُمۡ فِيهِ)

(وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

* الميسر : وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم لتلك الأصنام،

لأن دعاءهم إياها باطل، و هي باطلة بنفسها، فالعمل باطل و غايته باطلة.

*** سنن الترمذي ت شاكر

2180 عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ،

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺلَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ

يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ،

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "

سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}

[الأعراف: 138] وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ "

(قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا)

أي:أأطلب لكم إلها غير اللّه المألوه، الكامل في ذاته، و صفاته و أفعاله.

(وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ)

*** يذكِّرهم مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مِنْ:-

1-إِنْقَاذِهِمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ وَ قَهْرِهِ، وَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْهَوَانِ وَ الذِّلَّةِ،

وَ مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعِزَّةِ وَ الِاشْتِفَاءِ مِنْ عَدُوِّهِمْ،

2-وَ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي حَالِ هَوَانِهِ وَ هَلَاكِهِ، وَ غَرَقِهِ وَ دَمَارِهِ.

وَ قَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

❍فيقتضي أن تقابلوا فضله، و تفضيله بالشكر

و ذلك بإفراده وحده بالعبادة، و الكفر بما يدعي من دونه.

ثم ذكرهم بما امتن اللّه به عليهم فقال:

(وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ)

أي: من فرعون و آله

(يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ)

أي: يوجهون إليكم من العذاب أسوأه، و هو أنهم كانوا

(يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ)

(وَفِى ذَٰلِكُم)النجاة من عذابهم

(بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)

أي: نعمة جليلة، و منحة جزيلة، أو:

و في ذلك العذاب الصادر منهم لكم بلاء من ربكم عليكم عظيم،

فلما ذكرهم موسى و وعظهم انتهوا عن ذلك.

(وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ)

*** وَ قَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ مَا هِيَ؟

فَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الثَّلَاثِينَ هِيَ ذُو الْقَعْدَةِ، وَ الْعَشْرُ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ

(فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)

*** فَلَمَّا تَمَّ الْمِيقَاتُ عَزَمَ مُوسَى عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الطُّورِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ}

الْآيَةَ [طه: 80] ،

❍و لما أتم اللّه نعمته عليهم بالنجاة من عدوهم،

و تمكينهم في الأرض، أراد تبارك و تعالى أن يتم نعمته عليهم،

بــــإنزال الكتـــــاب الــــــذي فيــــه:-

1-الأحكــــــام الشرعية،

2-و العقائـــــــد المرضية،

فواعد موسى ثلاثين ليلة، و أتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة،

ليستعد موسى، و يتهيأ لوعد اللّه،

و يكون لنزولها موقع كبير لديهم، و تشوق إلى إنزالها.

و لما ذهب موسى إلى ميقات ربه

(وَقَالَ مُوسَىٰ)

لهارون موصيا له على بني إسرائيل من حرصه عليهم و شفقته:

(لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي)

أي: كن خليفتي فيهم، و اعمل فيهم بما كنت أعمل،

(وَأَصۡلِحۡ) أي: اتبع طريق الصلاح

(وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ)

و هم الذين يعملون بالمعاصي.

(وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا)

الذي وقتناه له لإنزال الكتاب

(وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ)

بما كلمه من وحيه و أمره و نهيه، تشوق إلى رؤية اللّه،

و نزعت نفسه لذلك، حبا لربه و مودة لرؤيته.

ف (قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ)

اللَّهِ

(لَن تَرَىٰنِي)

أي: لن تقدر الآن على رؤيتي،

فإن اللّه تبارك و تعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها،

و لا يثبتون لرؤية اللّه،

و ليس في هذا دليل على أنهم لا يرونه في الجنة،

فإنه قد دلت النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون

ربهم تبارك و تعالى و يتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم،

و أنه ينشئهم نشأة كاملة، يقدرون معها على رؤية اللّه تعالى،

و لهذا رتب اللّه الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل،

فقال – مقنعا لموسى في عدم إجابته للرؤية –

(وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ)

إذا تجلى اللّه له

(فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ)

(فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ)

*** سنن الترمذي ت شاكر

3074 عَنْ أَنَس، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: " قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ

{فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا} [الأعراف: 143] "

قَالَ حَمَّادٌ: هَكَذَا،

وَ أَمْسَكَ سُلَيْمَانُ بِطَرَفِ إِبْهَامِهِ عَلَى أُنْمُلَةِ إِصْبَعِهِ اليُمْنَى

قَالَ: " فَسَاخَ الجَبَلُ {وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} [الأعراف: 143]

❍الأصم الغليظ

(جَعَلَهُۥ دَكّٗا)

أي: انهال مثل الرمل، انزعاجا من رؤية اللّه و عدم ثبوته لها

(وَخَرَّ مُوسَىٰ)

حين رأى ما رأى

(صَعِقٗاۚ)

***مغشيا عليه

فتبين له حينئذ أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤية اللّه،

فموسى أولى أن لا يثبت لذلك،

*** صحيح البخاري

4638 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:-

جَاءَ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺقَدْ لُطِمَ وَجْهُهُ،
وَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ مِنَ الأَنْصَارِ لَطَمَ فِي وَجْهِي،
قَالَ: «ادْعُوهُ» فَدَعَوْهُ، قَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟»
قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَرَرْتُ بِاليَهُودِ،
فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَ الَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ،
فَقُلْتُ: وَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَ أَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ فَلَطَمْتُهُ،
قَالَ: «لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ،
فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ،
فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ»

(فَلَمَّآ أَفَاقَ)

***و الافاقة لا تكون الا من غَشْي

oاستغفر ربه لما صدر منه من السؤال، الذي لم يوافق موضعا

و لذلك (قَالَ سُبْحَـٰنَكَ)

أي: تنزيها لك، و تعظيما عما لا يليق بجلالك

(تُبْتُ إِلَيْكَ)

((*من))جميع الذنوب، و سوء الأدب معك

(وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ)

*الميسر:و أنا أول المؤمنين بك من قومي.

oأي: جدد عليه السلام إيمانه،

بما كمل اللّه له مما كان يجهله قبل ذلك،

فلما منعه اللّه من رؤيته – بعدما ما كان متشوقا إليها – أعطاه خيرا كثيرا فقال:

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

(قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ)

أي:اخترتك و اجتبيتك و فضلتك و خصصتك بفضائل عظيمة،و مناقب جليلة،

(بِرِسَٰلَٰتِي)

التي لا أجعلها، و لا أخص بها إلا أفضل الخلق.

(وَبِكَلَٰمِي)

إياك من غير واسطة، و هذه فضيلة اختص بها موسى الكليم،

و عرف بها من بين إخوانه من المرسلين،

(فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ)

من النعم، و خذ ما آتيتك من الأمر و النهي بانشراح صدر،

و تلقه بالقبول و الانقياد،

(وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ)

لله على ما خصك و فضلك.

(وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ)

يحتاج إليه العباد

(مَّوۡعِظَةٗ)

ترغب النفوس في أفعال الخير، و ترهبهم من أفعال الشر،

(وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ)

من الأحكام الشرعية، و العقائد و الأخلاق و الآداب

*** كَانَتِ الْأَلْوَاحُ مِنْ جَوْهَرٍ،
وَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ لَهُ فِيهَا مَوَاعِظَ وَ أَحْكَامًا مُفَصَّلَةً مُبَيِّنَةً لِلْحَلَالِ وَالْحَرَامِ
وَ كَانَتْ هَذِهِ الْأَلْوَاحُ مُشْتَمِلَةً عَلَى التَّوْرَاةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} [الْقَصَصِ:43]
وَ قِيلَ: الْأَلْوَاحُ أُعْطِيَهَا مُوسَى قَبْلَ التَّوْرَاةِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وَ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ كَانَتْ كَالتَّعْوِيضِ لَهُ عَمَّا سَأَلَ مِنَ الرُّؤْيَةِ وَ مُنِعَ مِنْهُ، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

(فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ)

أي: بجد و اجتهاد على إقامتها،

(وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا)

و هي الأوامر الواجبة و المستحبة، فإنها أحسنها،

و في هذا دليل على أن أوامر اللّه – في كل شريعة – كاملة عادلة حسنة.

(سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)

بعد ما أهلكهم اللّه، و أبقى ديارهم عبرة بعدهم،

يعتبر بها المؤمنون الموفقون المتواضعون.

*** سَتَرَوْنَ عَاقِبَةَ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِي، كَيْفَ يَصِيرُ إِلَى الْهَلَاكِ وَ الدَّمَارِ وَ التَّبَابِ؟
و قيل : مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَ أُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا.

و أما غيرهم، فقال عنهم: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ)

أي: عن الاعتبار في الآيات الأفقية و النفسية، و الفهم لآيات الكتاب

*** سَأَمْنَعُ فهم الحجج وَ الْأَدِلَّةِ عَلَى عَظْمَتِي وَ شَرِيعَتِي وَ أَحْكَامِي قُلُوبَ الْمُتَكَبِّرِينَ عَنْ طَاعَتِي، وَ يَتَكَبَّرُونَ عَلَى النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ،

أَيْ: كَمَا اسْتَكْبَرُوا بِغَيْرِ حَقٍّ أَذَلَّهُمُ اللَّهُ بِالْجَهْلِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الْأَنْعَام:110]
وَ قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصَّفّ:5]
*** وَ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا يَنَالُ الْعِلْمَ حَيِيٌّ وَ لَا مُسْتَكْبِرٌ.

(ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ)

أي: يتكبرون على عباد اللّه و على الحق، و على من جاء به،

فمن كان بهذه الصفة، حرمه اللّه خيرا كثيرا و خذله،

و لم يفقه من آيات اللّه ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق،

و استحسن القبيح.

(وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا)

لإعراضهم و اعتراضهم، و محادتهم للّه و رسوله،

***كقوله﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ يونس: ٩٦ - ٩٧

(وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ)

أي: الهدى و الاستقامة، و هو الصراط الموصل إلى اللّه، و إلى دار كرامته

(لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)

أي: لا يسلكوه و لا يرغبوا فيه

(وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ)

أي: الغواية الموصل لصاحبه إلى دار الشقاء

(يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ)

و السبب في انحرافهم هذا الانحراف

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ)

فردهم لآيات اللّه، و غفلتهم عما يراد بها و احتقارهم لها –

هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، و ترك طريق الرشد ما أوجب

(وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا)

العظيمة الدالة على صحة ما أرسلنا به رسلنا.

(وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ)

لأنها على غير أساس، و قد فقد شرطها و هو الإيمان بآيات اللّه،

و التصديق بجزائه

(هَلۡ يُجۡزَوۡنَ)

في بطلان أعمالهم و حصول ضد مقصودهم

(إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

فإن أعمال من لا يؤمن باليوم الآخر، لا يرجو فيها ثوابا،

و ليس لها غاية تنتهي إليه، فلذلك اضمحلت و بطلت.

(وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا)

صاغه السامري و ألقى عليه قبضة من أثر الرسول فصار

(لَهُ خُوَارٌ)

و صوت، فعبدوه و اتخذوه إلها.

وقال﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾
طه: ٨٨

و ذهب يطلبه، و هذا من سفههم، و قلة بصيرتهم،

كيف اشتبه عليهم رب الأرض و السماوات، بعجل من أنقص المخلوقات؟

و لهذا قال مبينا أنه ليس فيه من الصفات الذاتية و لا الفعلية،

ما يوجب أن يكون إلها

(أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ)

أي:و عدم الكلام نقص عظيم، فهم أكمل حالة من هذا الحيوان أو الجماد،

الذي لا يتكلم

(وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا)

أي: لا يدلهم طريقا دينيا،و لا يحصل لهم مصلحة دنيوية،

لأن من المتقرر في العقول و الفطر، أن اتخاذ إله لا يتكلم و لا ينفع

و لا يضر من أبطل الباطل، و أسمج السفه،

و لهذا قال: (ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ)

حيث وضعوا العبادة في غير موضعها، و أشركوا باللّه ما لم ينزل به سلطانا،

و فيها دليل على أن من أنكر كلام اللّه،

فقد أنكر خصائص إلهية اللّه تعالى،

لأن اللّه ذكر أن عدم الكلام دليل على عدم صلاحية الذي لا يتكلم للإلهية.

(وَلَمَّا)

رجع موسى إلى قومه، فوجدهم على هذه الحال،و أخبرهم بضلالهم ندموا

و(سُقِطَ فِىٓ أَيۡدِيهِمۡ)

أي: من الهم و الندم على فعلهم،

(وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ)

فتنصلوا، إلى اللّه و تضرعوا

و (قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا)

فيدلنا عليه، و يرزقنا عبادته، و يوفقنا لصالح الأعمال،

(وَيَغۡفِرۡ لَنَا) ما صدر منا من عبادة العجل

(لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)

الذين خسروا الدنيا و الآخرة.

*** مِنَ الْهَالِكِينَ وَ هَذَا اعْتِرَافٌ مِنْهُمْ بِذَنْبِهِمْ وَ الْتِجَاءٌ إِلَى اللَّهِ عز وجل.

اضافة من بن كثير:

*** يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ ضَلَالِ مَنْ ضَلَّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ،
الَّذِي اتَّخَذَهُ لَهُمُ السَّامِرِيُّ مِنْ حُلِيِّ الْقِبْطِ،
الَّذِي كَانُوا اسْتَعَارُوهُ مِنْهُمْ، فَشَكَّلَ لَهُمْ مِنْهُ عِجْلًا
ثُمَّ أَلْقَى فِيهِ الْقَبْضَةَ مِنَ التُّرَابِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ،
عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَصَارَ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ،
وَ"الْخُوَارُ" صَوْتُ الْبَقَرِ.
وَ كَانَ هَذَا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَهَابِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ تَعَالَى،
وَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ وَ هُوَ عَلَى الطُّورِ،
حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ:
{قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} [طه:85]

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

(وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا)

أي: ممتلئا غضبا و غيظا عليهم، لتمام غيرته عليه الصلاة و السلام،

و كمال نصحه و شفقته،

*** قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ "الْأَسَفُ": أَشَدُّ الْغَضَبِ.

(قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ)

أي: بئس الحالة التي خلفتموني بها من بعد ذهابي عنكم،

فإنها حالة تفضي إلى الهلاك الأبدي، و الشقاء السرمدي.

(أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ)

حيث وعدكم بإنزال الكتاب.

فبادرتم – برأيكم الفاسد – إلى هذه الخصلة القبيحة

*** مسند أحمد مخرجا

1842 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ»

***صحيح ابن حبان - محققا

6214 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«لَيْسَ الْمُعَايِنُ كَالْمُخْبَرِ،
أَخْبَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنَّ قَوْمَهُ فُتِنُوا
فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاحَ، فَلَمَّا رَآهُمْ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ» ( )

(وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ)

أي: رماها من الغضب

إسناده صحيح على شرط مسلم. رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي داود: سليمان بن داود الطيالسي، فمن رجال مسلم. أبو عوانة هو: الوضاح اليشكري.
وأخرجه البزار (200) عن أحمد بن سنان القطان، بهذا الإسناد.
وأخرجه ابن عدي في " الكامل " 2596/7، والطبراني في "الكبير" (12451) ، والحاكم 380/2، وابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" 258/2 من طرق عن أبي عوانة، به، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ)

هارون و لحيته

*** خَوْفًا أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَّر فِي نَهْيِهِمْ،

(يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ)

{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي.
قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} [طه:92-94]

ف (قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)

و (قَالَ) هنا

(ٱبۡنَ أُمَّ)

هذا ترقيق لأخيه، بذكر الأم وحدها، و إلا فهو شقيقه لأمه و أبيه:

(إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي)

أي: احتقروني حين قلت لهم:

﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾طه: ٩٠

(وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي)

أي: فلا تظن بي تقصيرا

(فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ)

بنهرك لي، و مسك إياي بسوء،

فإن الأعداء حريصون على أن يجدوا عليَّ عثرة، أو يطلعوا لي على زلة

(وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)

فتعاملني معاملتهم.

فندم موسى عليه السلام على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل أن يعلم براءته،

مما ظنه فيه من التقصير.

(قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ)

أي: في وسطها، و اجعل رحمتك تحيط بنا من كل جانب،

فإنها حصن حصين، من جميع الشرور، و ثم كل خير و سرور.

(وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)

أي: أرحم بنا من كل راحم، أرحم بنا من آبائنا، و أمهاتنا و أولادنا و أنفسنا.

قال اللّه تعالى مبينا حال أهل العجل الذين عبدوه

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ)

أي: إلها

(سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ)

كما أغضبوا ربهم و استهانوا بأمره.

*** أَمَّا الْغَضَبُ الَّذِي نَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عِبَادَةِ الْعِجْلِ:-

فَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقْبَلْ لَهُمْ تَوْبَةً، حَتَّى قَتَل بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [الْبَقَرَةِ:54]

***وَ أَمَّا الذِّلَّةُ:- فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ ذُلًّا وَ صَغَارًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،

(وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ)

فكل مفتر على اللّه، كاذب على شرعه، متقول عليه ما لم يقل،

فإن له نصيبا من الغضب من اللّه، و الذل في الحياة الدنيا،

و قد نالهم غضب اللّه، حيث أمرهم أن يقتلوا أنفسهم،

و أنه لا يرضى اللّه عنهم إلا بذلك، فقتل بعضهم بعضا،

و انجلت المعركة عن كثير من القتلى ثم تاب اللّه عليهم بعد ذلك.

و لهذا ذكر حكما عاما يدخلون فيه هم و غيرهم،

فقال: (وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ)

من شرك و كبائر، و صغائر

(ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا)

بأن ندموا على ما مضى، و أقلعوا عنها، و عزموا على أن لا يعودوا

(وَءَامَنُوٓاْ)

باللّه و بما أوجب اللّه من الإيمان به، و لا يتم الإيمان إلا بأعمال القلوب،

و أعمال الجوارحِ المترتبة على الإيمان

(إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا)

أي: بعد هذه الحالة، حالة التوبة من السيئات و الرجوعِ إلى الطاعات،

(لَغَفُورٌ)

يغفر السيئات و يمحوها، و لو كانت قراب الأرض

(رَّحِيمٌ)

بقبول التوبة، و التوفيق لأفعال الخير و قبولها.

(وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ)

أي: سكن غضبه، و تراجعت نفسه، و عرف ما هو فيه،

اشتغل بأهم الأشياء عنده،

ف (أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَ)

التي ألقاها، و هي ألواح عظيمة المقدار، جليلة

(وَفِي نُسۡخَتِهَا)

أي: مشتملة و متضمنة .

*** يَقُولُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ:

إِنَّهَا لَمَّا أَلْقَاهَا تَ كَسَّرَتْ،ثُمَّ جَمَعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ؛

وَ لِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: فَوَجَدَ فِيهَا هُدًى وَ رَحْمَةً.

وَ أَمَّا التَّفْصِيلُ فَذَهَبَ،

*الجزائري :أي و في ما نسخه منها بعد تكسرها نسخة فيها

(هُدًى وَرَحْمَةٌ)

أي: فيها الهدى من الضلالة،

و بيان الحق من الباطل،

و أعمال الخير و أعمال الشر،

و الهدى لأحسن الأعمال، و الأخلاق، و ا لآداب،

(وَرَحْمَةٌ)

و سعادة لمن عمل بها،

و علم أحكامها و معانيها،

و لكن ليس كل أحد يقبل هدى اللّه و رحمته،

و إنما يقبل ذلك و ينقاد له، و يتلقاه بالقبول

(لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)

أي: يخافون منه و يخشونه،

و أما من لم يخف اللّه و لا المقام بين يديه،

فإنه لا يزداد بها إلا عتوا و نفورا و تقوم عليه حجة اللّه فيها.

*** ضَمَّنَ الرَّهْبَةَ مَعْنَى الْخُضُوعِ وَ لِهَذَا عدَّاها بِاللَّامِ.

(و) لما تاب بنو إسرائيل و تراجعوا إلى رشدهم

(وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ)

منهم

(سَبْعِينَ رَجُلًا) من خيارهم، ليعتذروا لقومهم عند ربهم،

(لِّمِيقَٰتِنَاۖ)

و وعدهم اللّه ميقاتا يحضرون فيه، فلما حضروه،

قالوا: يا موسى، ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾
النساء: ١٥٣

فتجرأوا على اللّه جراءة كبيرة، و أساءوا الأدب معه،

ف (فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ)

فصعقوا و هلكوا.

فلم يزل موسى عليه الصلاة و السلام، يتضرع إلى اللّه و يتبتل و يقول

(قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَۖ)

❍أن يحضروا و يكونون في حالة يعتذرون فيها لقومهم، فصاروا هم الظالمين
*** إِنَّمَا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُزَايِلُوا قَوْمَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، وَ لَا نَهَوْهُمْ،وَ يَتَوَجَّهُ هَذَا الْقَوْلُ بِقَوْلِ موسى:

(أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّاۖ)

أي: ضعفاء العقول، سفهاء الأحلام،

فتضرع إلى اللّه و اعتذر بأن المتجرئين على اللّه ليس لهم عقول كاملة،

تردعهم عما قالوا و فعلوا،

و بأنهم حصل لهم فتنة يخطر بها الإنسان، و يخاف من ذهاب دينه

***الميسر:فقام موسى يتضرع إلى الله و يقول:**

رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم، و قد أهلكتَ خيارهم؟

لو شئت أهلكتهم جميعًا من قبل هذا الحال و أنا معهم،

فإن ذلك أخف عليّ،

فقال: (إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ)

*** ابْتِلَاؤُكَ وَ اخْتِبَارُكَ وَ امْتِحَانُكَ. وَ لَا مَعْنَى لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ؛
يَقُولُ: إِنِ الأمرُ إِلَّا أمرُك، وَ إِنِ الحكمُ إِلَّا لَكَ،
فَمَا شِئْتَ كَانَ، تَضِلُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ، وَ لَا هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ،
وَلَا مُضِل لمَنْ هَدَيت، وَلَا مُعطِي لِمَا مَنَعت، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ،
فَالْمُلْكُ كُلُّهُ لَكَ، وَالْحُكْمُ كُلُّهُ لَكَ، لَكَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.

(تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ)

*** الغَفْر هُوَ: السَّتْرُ، وَ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ،
وَ الرَّحْمَةُ إِذَا قُرِنَتْ مَعَ الْغَفْرِ، يُرَادُ بِهَا أَلَّا يُوقِعَهُ فِي مِثْلِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ،

{وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ}

***أَيْ: لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ،

أي: أنت خير من غفر،

و أولى من رحم،

و أكرم من أعطى و تفضل،

فكأن موسى عليه السلام

قال: المقصود يا رب بالقصد الأول لنا كلنا، هو التزام طاعتك و الإيمان بك،

و أن من حضره عقله و رشده،

و تم على ما وهبته من التوفيق، فإنه لم يزل مستقيما،

و أما من ضعف عقله، و سفه رأيه، و صرفته الفتنة،

فهو الذي فعل ما فعل، لذينك السببين،

و مع هذا فأنت أرحم الراحمين، و خير الغافرين، فاغفر لنا و ارحمنا.

فأجاب اللّه سؤاله، و أحياهم من بعد موتهم، و غفر لهم ذنوبهم.

۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

و قال موسى في تمام دعائه

(۞ وَٱكۡتُبۡ)

***أثْبِتْ لنا أو أوجب لنا

(لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ)

من علم نافع، و رزق واسع، و عمل صالح.

(وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ)

حسنة و هي ما أعد اللّه لأوليائه الصالحين من الثواب.

(إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ)

أي: رجعنا مقرين بتقصيرنا، منيبين في جميع أمورنا.

(قَالَ) اللّه تعالى

(عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ)

ممن كان شقيا، متعرضا لأسبابه،

(وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ)

من العالم العلوي و السفلي، البر و الفاجر، المؤمن و الكافر،

فلا مخلوق إلا و قد وصلت إليه رحمة اللّه،

و غمره فضله و إحسانه،

و لكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا و الآخرة، ليست لكل أحد،

*** آيَةٌ عَظِيمَةُ الشُّمُولِ وَ الْعُمُومِ،

كَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَ مَنْ حَوْلَهُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ:

{رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا} [غَافِرٍ:7]

***صحيح مسلم

(2753) عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ وَ تِسْعَةٌ وَ تِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ»،

و لهذا قال عنها: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾

المعاصي، صغارها و كبارها.(((***الشرك و العظائم من الذنوب)))

*** فَسَأُوجِبُ حُصُول رَحْمَتِي مِنَّةً مِنِّي وَ إِحْسَانًا إِلَيْهِمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الْأَنْعَامِ:54]

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾

الواجبة مستحقيها

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾

و من تمام الإيمان بآيات اللّه معرفة معناها، و العمل بمقتضاها،

و من ذلك اتباع النبي ﷺ ظاهرا و باطنا، في أصول الدين و فروعه.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾

احتراز عن سائر الأنبياء،

فإن المقصود بهذا محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب ﷺ.

و السياق في أحوال بني إسرائيل

و أن الإيمان بالنبي محمد ﷺ في دخولهم في الإيمان،

و أن المؤمنين به المتبعين، هم أهل الرحمة المطلقة، التي كتبها اللّه لهم،

و وصفه بالأمي لأنه من العرب الأمة الأمية، التي لا تقرأ و لا تكتب،

و ليس عندها قبل القرآن كتاب.

(ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ)

باسمه و صفته، التي من أعظمها و أجلها، ما يدعو إليه، و ينهى عنه .

و أنه (يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ)

و هو كل ما عرف حسنه و صلاحه و نفعه.

(وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ)

وهو: كل ما عرف قبحه في العقول و الفطر.

فيأمرهم بالصلاة، و الزكاة، و الصوم، و الحج، و صلة الأرحام، و بر الوالدين،

و الإحسان إلى الجار و المملوك، و بذل النفع لسائر الخلق، و الصدق،

و العفاف، و البر، و النصيحة، و ما أشبه ذلك،

و ينهي عن الشرك بالله، و قتل النفوس بغير حق، و الزنا، و شرب ما يسكر

العقل، و الظلم لسائر الخلق، و الكذب، و الفجور، و نحو ذلك.

فأعظم دليل يدل على أنه رسول الله،

ما دعا إليه و أمر به، و نهى عنه، و أحله و حرمه،

***مسند أحمد مخرجا

16058 - عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، و أَبِي أُسَيْدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:
«إِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّي تَعْرِفُهُ قُلُوبُكُمْ،
وَ تَلِينُ لَهُ أَشْعَارُكُمْ، وَ أَبْشَارُكُمْ، وَ تَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ قَرِيبٌ،
فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهِ،

وَ إِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّي تُنْكِرُهُ قُلُوبُكُمْ،
وَ تَنْفِرُ أَشْعَارُكُمْ، وَ أَبْشَارُكُمْ،
وَ تَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ بَعِيدٌ فَأَنَا أَبْعَدُكُمْ مِنْهُ»

فإنه ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾

من المطاعم و المشارب، و المناكح.

***أَيْ: يُحِلُّ لَهُمْ مَا كَانُوا حَرَّمُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْبَحَائِرِ، وَ السَّوَائِبِ، وَ الْوَصَائِلِ، وَ الِحَامِ، وَ نَحْوِ ذَلِكَ، مِمَّا كَانُوا ضَيَّقُوا بِهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾

من المطاعم و المشارب و المناكح، و الأقوال و الأفعال.

*** كَلَحْمِ الْخنْزِيرِ وَ الرِّبَا، وَ مَا كَانُوا يَسْتَحِلُّونَهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْمَآكِلِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

***وَ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ:كُلُّ مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى،
فَهُوَ طَيِّبٌ نَافِعٌ فِي الْبَدَنِ وَ الدِّينِ،
وَ كُلُّ مَا حَرَّمَهُ، فَهُوَ خَبِيثٌ ضَارٌّ فِي الْبَدَنِ وَ الدِّينِ.

﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾

***الجزائري:-و يحط عنهم تبعة العهد الذي أخذ عليهم بالعمل فيما في التوراة و الإنجيل بأن يعملوا بكل ما جاء فيهما**

﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾

*** أي الشدائد المفروض عليهم القيام بها**

***الميسر :و يذهب عنهم ما كُلِّفوه من الأمور الشاقة**

1-كقطع موضع النجاسة من الثوب،
2-و إحراق الغنائم،
3-و القصاص حتماً من القاتل عمداً كان القتل أم خطأ،
[*الجزائري: إذ لا عفو و لا دية]

أي: و من وصفه أن دينه سهل سمح ميسر،

لا إصر فيه، و لا أغلال، و لا مشقات و لا تكاليف ثقال.

*** صحيح البخاري
3038 عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ،
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا وَ أَبَا مُوسَى إِلَى اليَمَنِ
قَالَ: «يَسِّرَا وَ لاَ تُعَسِّرَا، وَ بَشِّرَا وَ لاَ تُنَفِّرَا، وَ تَطَاوَعَا وَ لاَ تَخْتَلِفَا»( )
***صحيح البخاري
1211 - حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا الأَزْرَقُ بْنُ قَيْسٍ،
قَالَ: كُنَّا بِالأَهْوَازِ نُقَاتِلُ الحَرُورِيَّةَ،
فَبَيْنَا أَنَا عَلَى جُرُفِ نَهَرٍ إِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي،
وَ إِذَا لِجَامُ دَابَّتِه بِيَدِهِ، فَجَعَلَتِ الدَّابَّةُ تُنَازِعُهُ وَ جَعَلَ يَتْبَعُهَا –
قَالَ شُعْبَةُ: هُوَ أَبُو بَرْزَةَ الأَسْلَمِيُّ - فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنَ الخَوَارِجِ يَقُولُ:-
اللَّهُمَّ افْعَلْ بِهَذَا الشَّيْخِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ الشَّيْخُ،
قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَكُمْ
«وَ إِنِّي غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّ غَزَوَاتٍ - أَوْ سَبْعَ غَزَوَاتٍ – وَ ثَمَانِيَ

(يسرا) خذا بما فيه من التيسير. (ولا تعسرا) من التعسير وهو التشديد. (بشرا) من التبشير وهو إدخال السرور. (ولا تنفرا) من التنفير أي لا تذكرا شيئا يهربون منه. (تطاوعا) تحابا وليطع كل منكما الآخر]

وَ شَهِدْتُ تَيْسِيرَهُ»،
وَ إِنِّي إِنْ كُنْتُ أَنْ أُرَاجِعَ مَعَ دَابَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدَعَهَا تَرْجِعُ إِلَى مَأْلَفِهَا فَيَشُقُّ عَلَيَّ( )

***صحيح البخاري

6664 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَرْفَعُهُ قَالَ:
«إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ، أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا،
مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ»

(فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ)

أي: عظموه و بجلوه

(وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ)

و هو القرآن، الذي يستضاء به في ظلمات الشك و الجهالات،

و يقتدى به إذا تعارضت المقالات،

(أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ)

الظافرون بخير الدنيا و الآخرة، و الناجون من شرهما،

(بالأهواز) بلاد بين البصرة وفارس. (الحرورية) فئة من الخوارج نسبة إلى حروراء وهي قرية من قرى الكوفة. (جرف) جانب ويطلق على المكان الذي أكله السيل. (لجام) ما يوضع في فم الفرس لتقاد به. (تنازعه) تشد بلجامها كي تنفلت. (يتبعها) يسير معها. (افعل بهذا) يدعو عليه ويسبه. (أراجع) أرجع وأسير. (مألفها) ما ألفته واعتادته من الذهاب إلى المرعى أو البيت. (فيشق علي) رجوعي إلى أهلي بدونها لبعد منزلي]

لأنهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح.

و أما من لم يؤمن بهذا النبي الأمي، و يعزره، و ينصره،

و لم يتبع النور الذي أنزل معه، فأولئك هم الخاسرون.

و لما دعا أهل التوراة من بني إسرائيل، إلى اتباعه،

و كان ربما توهم متوهم، أن الحكم مقصور عليهم،

أتى بما يدل على العموم فقال:

وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ

(قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا)

***كقوله﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾الأنعام: ١٩

أي: عربيكم، و عجميكم، أهل الكتاب منكم، و غيرهم.

***صحيح مسلم

(153)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:

«وَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ،

وَ لَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ،

إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»

***صحيح مسلم

(521) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي،

1-كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً،
وَ بُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَ أَسْوَدَ،
2-وَ أُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَ لَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي،
3-وَ جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَ مَسْجِدًا،
فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ،
4-وَ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ،
5-وَ أُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»

(ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)

يتصرف فيهما بأحكامه الكونية

و التدابير السلطانية،

و بأحكامه الشرعية الدينية التي من جملتها: –

أن أرسل إليكم رسولا عظيما يدعوكم إلى اللّه و إلى دار كرامته،

و يحذركم من كل ما يباعدكم منه، و من دار كرامته.

(لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ)

أي: لا معبود بحق، إلا اللّه وحده لا شريك له،

و لا تعرف عبادته إلا من طريق رسله،

(يُحْىِۦ وَيُمِيتُ)

أي: من جملة تدابيره: الإحياء و الإماتة، التي لا يشاركه فيها أحد،

الذي جعل الموت جسرا و معبرا يعبر منه إلى دار البقاء،

التي من آمن بها صدق الرسول محمدا ﷺ قطعا.

(فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ)

إيمانا في القلب، متضمنا لأعمال القلوب و الجوارح.

(ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ)

أي: آمنوا بهذا الرسول المستقيم في عقائده و أعماله،

***الميسر:وما أنزل إليه من ربه و ما أنزل على النبيين من قبله،**

(وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

في مصالحكم الدينية و الدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتم ضلالا بعيدا.

(وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ)

أي: جماعة

(يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ)

***كقوله ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ

﴾آل عمران: ١١٣

أي: يهدون به الناس في تعليمهم إياهم و فتواهم لهم،

(وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ)

و يعدلون به بينهم في الحكم بينهم، بقضاياهم،

كما قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾
السجدة: ٢٤

و في هذا فضيلة لأمة موسى عليه الصلاة والسلام،

و أن اللّه تعالى جعل منهم هداة يهدون بأمره.

و كأن الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم،

فإنه تعالى ذكر فيما تقدم جملة من معايب بني إسرائيل،

المنافية للكمال المناقضة للهداية،

فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم،

فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.

وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ
أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ
كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ
كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ
يَظۡلِمُونَ ١٦٠ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ
شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ
سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ
لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٦٢
وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ
إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ
كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣

وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ
أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ
كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ

كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

(وَقَطَّعْنَٰهُمُ)أي: قسمناهم

(ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ)

أي: اثنتي عشرة قبيلة متعارفة متوالفة، كل بني رجل من أولاد يعقوب قبيلة.

(وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ)

أي: طلبوا منه أن يدعو اللّه تعالى، أن يسقيهم ماء يشربون منه و تشرب منه مواشيهم، و ذلك لأنهم – و اللّه أعلم – في محل قليل الماء.

فأوحى اللّه لموسى إجابة لطلبتهم

(أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ)

يحتمل أنه حجر معين، و يحتمل أنه اسم جنس، يشمل أي حجر كان، فضربه

(فَٱنۢبَجَسَتْ)

أي: انفجرت من ذلك الحجر

(مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ)

جارية سارحة.

(قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ)

أي: قد قسم على كل قبيلة من تلك القبائل الاثنتي عشرة،

و جعل لكل منهم عينا، فعلموها، و اطمأنوا،و استراحوا من:-

التعب و المزاحمة، و المخاصمة، و هذا من تمام نعمة اللّه عليهم.

(وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ)

فكان يسترهم من حر الشمس

(وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ)

و هو الحلوى،

***شئ يشبه الصمغ طعمه كالحلوي

(وَٱلسَّلْوَىٰ)

***طائر السمان

و هو لحم طير من أنواع الطيور و ألذها،

فجمع اللّه لهم بين الظلال، و الشراب، و الطعام الطيب، مـــــن:-

الحلوى و اللحوم، على وجه الراحة و الطمأنينة.

و قيل لهم: (كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا)

حين لم يشكروا اللّه، و لم يقوموا بما أوجب اللّه عليهم.

(وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

حيث فوتوها كل خير،و عرضوها للشر و النقمة،

و هذا كان مدة لبثهم في التيه.

(وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ)

أي: ادخلوها لتكون وطنا لكم و مسكنا،

و هي (إيلياء)

(وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ)

أي: قرية كانت كثيرة الأشجار، غزيرة الثمار، رغيدة العيش،

فلذلك أمرهم اللّه أن يأكلوا منها حيث شاءوا.

(وَقُولُواْ)

حين تدخلون الباب:

(حِطَّةٞ) أي: احطط عنا خطايانا، و اعف عنا.

(وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا)

أي: خاضعين لربكم مستكينين لعزته، شاكرين لنعمته، فأمرهم بالخضوع،

و سؤال المغفرة، و وعدهم على ذلك مغفرة ذنوبهم و الثواب العاجل و الآجل

فقال: (نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)

من خير الدنيا و الآخرة، فلم يمتثلوا هذا الأمر الإلهي،

بل (فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ)

أي: عصوا اللّه و استهانوا بأمره

(فَقَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ)

فقالوا بدل طلب المغفرة،

و قولهم: حِطَّةٌ (حبة في شعيرة) ،

و إذا بدلوا القول – مع يسره و سهولته – فتبديلهم للفعل من باب أولى،

و لهذا دخلوا و هم يزحفون على أستاههم.

(فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ)

حين خالفوا أمر اللّه و عصوه

(رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ)

أي: عذابا شديدا، إما الطاعون و إما غيره من العقوبات السماوية.

و ما ظلمهم اللّه بعقابه و إنما كان ذلك

(بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ)

أي: يخرجون من طاعة الله إلى معصيته،

من غير ضرورة ألجأتهم و لا داع دعاهم سوى الخبث و الشر الذي كان كامنا في نفوسهم.

(وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣

(وَسۡـَٔلۡهُمۡ)

أي: اسأل بني إسرائيل

(عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ)

***و هي علي شاطئ بحر القلزم

أي: على ساحله في حال تعديهم و عقاب اللّه إياهم.

(إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ)

و كان اللّه تعالى قد أمرهم أن يعظموه و يحترموه و لا يصيدوا فيه صيدا،

فابتلاهم اللّه و امتحنهم،

فكانت الحيتان(إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا)

أي: كثيرة طافية على وجه البحر.

***ظاهرة علي الماء

(وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا)

أي: إذا ذهب يوم السبت

(لَا تَأۡتِيهِمۡۚ)

أي: تذهب في البحر فلا يرون منها شيئا

(كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ)

ففسقهم هو الذي أوجب أن يبتليهم اللّه،

و أن تكون لهم هذه المحنة،

و إلا فلو لم يفسقوا، لعافاهم اللّه،

و لما عرضهم للبلاء و الشر، فتحيلوا على الصيد، فكانوا يحفرون لها حفرا،

و ينصبون لها الشباك،

فإذا جاء يوم السبت و وقعت في تلك الحفر و الشباك،

لم يأخذوها في ذلك اليوم،

فإذا جاء يوم الأحد أخذوها، و كثر فيهم ذلك،

و انقسمـــــوا ثـــلاث فـــرق:

1- معظمهم اعتدوا و تجرؤوا، وأعلنوا بذلك.

2-و فرقة أعلنت بنهيهم و الإنكار عليهم.

وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

*** يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ أَنَّهُمْ صَارُوا إِلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ:

1-فِرْقَةٌ ارْتَكَبَتِ الْمَحْذُورَ، وَ احْتَالُوا عَلَى اصْطِيَادِ السَّمَكِ يَوْمَ السَّبْتِ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

2-وَ فِرْقَةٌ نَهَتْ عَنْ ذَلِكَ، وَ أَنْكَرَتْ وَ اعْتَزَلَتْهُمْ.

3-وَ فِرْقَةٌ سَكَتَتْ فَلَمْ تَفْعَلْ وَ لَمْ تَنْهَ،

وَ لَكِنَّهَا قَالَتْ لِلْمُنْكِرَةِ:

{لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} ؟

(وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ)

و فرقة اكتفت بإنكار أولئك عليهم، و نهيهم لهم، و قالوا لهم:

(لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ)

أنهم يقولون: لا فائدة في وعظ من اقتحم محارم اللّه،

و لم يصغ للنصيح، بل استمر على اعتدائه و طغيانه،

فإنه لا بد أن يعاقبهم اللّه، إما بهلاك أو عذاب شديد.

فقال الواعظون(((***المُنْكِرة))): نعظهم و ننهاهم

(قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ)

أي: لنعذر فيهم.

*** فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

(وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)

أي: يتركون ما هم فيه من المعصية، فلا نيأس من هدايتهم،

فربما نجع فيهم الوعظ، و أثر فيهم اللوم.

و هذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة،

و إقامة حجة على المأمور المنهي،

و لعل اللّه أن يهديه، فيعمل بمقتضى ذلك الأمر، و النهي.

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ)

أي: تركوا ما ذكروا به، و استمروا على غيهم و اعتدائهم.

(أَنجَيۡنَا) من العذاب

(ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ)

و هكذا سنة اللّه في عباده،

أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر.

(وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ)

و هم الذين اعتدوا في السبت

(بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ)

أي: شديد

(بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ)

و أما الفرقة الأخرى التي قالت للناهين:-

(لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًاۙ ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ)

فاختلف المفسرون في نجاتهم و هلاكهم،

و الظاهر أنهم كانوا من الناجين،

لأن اللّه خص الهلاك بالظالمين، و هو لم يذكر أنهم ظالمون.

فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السبت،

و لأن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فرض كفاية،

إذا قام به البعض سقط عن الآخرين،

فاكتفوا بإنكار أولئك، و لأنهم أنكروا عليهم بقولهم:

(لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا)

فأبدوا من غضبهم عليهم، ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم،

و أن اللّه سيعاقبهم أشد العقوبة.

فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

(فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ)

أي: قسوا فلم يلينوا، و لا اتعظوا،

(قُلْنَا لَهُمْ)

قولا قدريا:-

(كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ)

فانقلبوا بإذن اللّه قردة، و أبعدهم اللّه من رحمته،

ثم ذكر ضرب الذلة و الصغار على من بقي منهم فقال:

(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ)

أي: أعلم إعلاما صريحا:

(لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ)

أي: يهينهم، و يذلهم.

*** هِيَ الْجِزْيَةُ، وَ الَّذِينَ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ:-

مُحَمَّد رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ وَ أُمَّتُهُ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

*** قُلْتُ: ثُمَّ آخِرُ أَمْرِهِمْ أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ أَنْصَارَ الدَّجَّالِ،

فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ ذَلِكَ آخِرَ الزَّمَانِ.

(إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ)

لمن عصاه، حتى إنه يعجل له العقوبة في الدنيا.

(وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ)

لمن تاب إليه و أناب، يغفر له الذنوب، و يستر عليه العيوب،

و يرحمه بأن يتقبل منه الطاعات، و يثيبه عليها بأنواع المثوبات،

و قد فعل اللّٰه بهم ما أوعدهم به،

فلا يزالون في ذل و إهانة، تحت حكم غيرهم، لا تقوم لهم راية،

و لا ينصر لهم عَلَمٌ.

وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ

خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

(وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ)

أي: فرقناهم و مزقناهم

(فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ)

***طوائف و فرقا

–بعد ما كانوا مجتمعين،

(مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ)

القائمون بحقوق اللّه، و حقوق عباده،

(وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ)

أي: دون الصلاح، إما مقتصدون، و إما ظالمون لأنفسهم،

(وَبَلَوۡنَٰهُم)

***اختبرناهم

على عادتنا و سنتنا،

(بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ)

أي: باليسر و بالعسر

*** بِالرَّخَاءِ وَ الشِّدَّةِ، وَ الرَّغْبَةِ وَ الرَّهْبَةِ، وَ الْعَافِيَةِ وَ الْبَلَاءِ،

(لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ)

عما هم عليه مقيمون من الردى، يراجعون ما خلقوا له من الهدى،

فلم يزالوا بين صالح و طالح و مقتصد،

(فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ)

حتى خلف من بعدهم خلف. زاد شرهم

(وَرِثُواْ)

بعدهم

***دراسة

(ٱلۡكِتَٰبَ)

***التوراة

و صار المرجع فيه إليهم، و صاروا يتصرفون فيه بأهوائهم،

و تبذل لهم الأموال، ليفتوا و يحكموا، بغير الحق، و فشت فيهم الرشوة.

(يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ)

***يَعْتَاضُونَ عَنْ بذل الحق و نشره بعَرَض الحياة الدنيا،

و يسرفون أَنْفُسَهُمْ وَ يَعِدُونَهَا بِالتَّوْبَةِ،وَ كُلَّمَا لَاحَ لَهُمْ مِثْلُ الْأَوَّلِ وَقَعُوا فِيهِ؛

*** تَمَنَّوْا عَلَى اللَّهِ أَمَانِيَّ، و غرَّة يَغْتَرُّونَ بِهَا،

(وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا)

○مقرين بأنه ذنب و أنهم ظلمة:-

و هذا قول خال من الحقيقة،

فإنه ليس استغفارا و طلبا للمغفرة على الحقيقة.

فلو كان ذلك لندموا على ما فعلوا، و عزموا على أن لا يعودوا،

(وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ)

و لكنهم - إذا أتاهم عرض آخر، و رشوة أخرى - يأخذوه.

فاشتروا بآيات اللّه ثمنا قليلا و استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير،

لَا يَشْغَلُهُمْ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ، وَ لَا يَنْهَاهُمْ شَيْءٌ عَنْ ذَلِكَ،
كُلَّمَا هَفَّ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا أَكَلُوهُ،
وَ لَا يُبَالُونَ حَلَالًا كَانَ أَوْ حَرَامًا.

***وَ قَالَ قَتَادَةُ فِي: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ ﴾مريم: ٥٩
أَيْ: وَ اللَّهِ، لَخَلَفُ سُوءٍ، وَرِثُوا الْكِتَابَ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِمْ وَ رُسُلِهِمْ،
وَرَّثَهُمُ اللَّهُ وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ،
وَ قَالَ اللَّهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى:
{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ} [مَرْيَمَ:59]

قال اللّه تعالى في الإنكار عليهم، و بيان جراءتهم:

(أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ)
***يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ فِي صَنِيعِهِمْ هَذَا،
مَعَ مَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمِيثَاقِ لَيُبَيِّنُنَّ الْحَقَّ لِلنَّاسِ،
وَ لَا يَكْتُمُونَهُ كَقَوْلِهِ:

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آلِ عِمْرَانَ:187]

فما بالهم يقولون عليه غير الحق اتباعا لأهوائهم، و ميلا مع مطامعهم.

(و) الحال أنهم قد

(وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ)

فليس عليهم فيه إشكال، بل قد أَتَوْا أمرهم متعمدين،

و كانوا في أمرهم مستبصرين، و هذا أعظم للذنب، و أشد للوم،

و أشنع للعقوبة، و هذا من نقص عقولهم، و سفاهة رأيهم،

بإيثار الحياة الدنيا على الآخرة،

و لهذا قال: (وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ)

ما حرم اللّه عليهم، من المآكل التي تصاب،

و تؤكل رشوة على الحكم بغير ما أنزل اللّه، و غير ذلك من أنواع المحرمات.

*** يُرَغِّبُهُمْ تَعَالَى فِي جَزِيلِ ثَوَابِهِ، وَ يُحَذِّرُهُمْ مِنْ وَبِيلِ عِقَابِهِ، أَيْ:-

وَ ثَوَابِي وَ مَا عِنْدِي خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى الْمَحَارِمَ،

وَ تَرَكَ هَوَى نَفْسِهِ، وَ أَقْبَلَ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ.

(أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)

*** أَفَلَيسَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَاضُوا بعَرَض الدُّنْيَا عَمَّا عِنْدِي عَقْلٌ يَرْدَعُهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ السَّفَهِ وَ التَّبْذِيرِ؟

ثُمَّ أَثْنَى تَعَالَى عَلَى مَنْ تَمَسَّكَ بِكِتَابِهِ الَّذِي يَقُودُهُ إِلَى اتِّبَاعِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ،

أي: أفلا يكون لكم عقول توازن بين ما ينبغي إيثاره،

و ما ينبغي الإيثار عليه، و ما هو أولى بالسعي إليه،

و التقديم له على غيره. فخاصية العقل النظر للعواقب.

و أما من نظر إلى عاجل طفيف منقطع، يفوت نعيما عظيما باقيا

فأنى له العقل و الرأي؟

و إنما العقلاء حقيقة من وصفهم اللّه بقوله

(وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ)

***** اعْتَصَمُوا بِهِ وَ اقْتَدَوْا بِأَوَامِرِهِ، وَ تَرَكُوا زَوَاجِرَهُ**

أي: يتمسكون به علما و عملا فيعلمون ما فيه من الأحكام و الأخبار،

التي علمها أشرف العلوم.

و يعلمون بما فيها من الأوامر التي هي قرة العيون و سرور القلوب،

و أفراح الأرواح، و صلاح الدنيا و الآخرة.

(وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ)

و من أعظم ما يجب التمسك به من المأمورات،

إقامة الصلاة، ظاهرا و باطنا،

و لهـــــذا خصهـــــا الله بالـــــذكر لــــــــ:-

1-فضلهـــــا، و شرفها،

2-و كونهـــــا ميزان الإيمان،

3-و إقامتهـــــا داعية لإقامة غيرها من العبادات.

و لما كان عملهم كله إصلاحا،

قال تعالى: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ)

في أقوالهم و أعمالهم و نياتهم، مصلحين لأنفسهم و لغيرهم.

و هذه الآية و ما أشبهها دلت على أن اللّه بعث رسله عليهم الصلاة و السلام بالصلاح لا بالفساد،

و بالمنافع لا بالمضار،

و أنهم بعثوا بصلاح الدارين،

فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم.

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

ثم قال تعالى: (۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ)

حين امتنعوا من قبول ما في التوراة.

(((*** لما ثقلت عليهم و أبوا أن يقروا بها)))

***رفعته الملائكة فوق رؤوسهم

○فألزمهم اللّه العمل و نتق فوق رءوسهم الجبل، فصار فوقهم

(كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ)

*الميسر :كأنه سحابة تظلهم،

(وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ)

و قيل لهم:

(خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ)

أي: بجد و اجتهاد.

(وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ)

مَا فِيهِ دراسة و مباحثة، و اتصافا بالعمل به

(لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ) إذا فعلتم ذلك.

وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾

وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

*** يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ بَنِي آدَمَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ،
شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ وَ مَلِيكُهُمْ،
وَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى فَطَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَجَبَلَهُمْ عَلَيْهِ،
قَالَ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الرُّومِ:30]

*** صحيح البخاري

4775 -عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ،
فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ،
كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ،
هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»،
ثُمَّ يَقُولُ: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ} [الروم: 30]

*** صحيح مسلم

2658-قال النبيﷺقال الله تعالي:-
وَ إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ،
وَ إِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ،
وَ حَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ،

*** صحيح البخاري

3334 عَنْ أَنَس، يَرْفَعُهُ:
إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا:
لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟
قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَ أَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ،
أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ "( )

(تفتدي به) من الافتداء وهو خلاص نفسه من الهلاك الذي وقع فيه. (صلب آدم) ظهر والصلب كل ظهر له فقار و المراد أنه أخذ عليه العهد منذ خلق أباه آدم. (فأبيت إلا الشرك) رفضت الأمر و أتيت بالشرك]

***مسند أحمد ط الرسالة

2455 -عَنِ ابْنِ عَبَّاس، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ - يَعْنِي عَرَفَةَ –
فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا،
فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ،
ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا "
قَالَ: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [الأعراف: 173]

***سنن الترمذي

3076 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ،
وَ جَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ،
ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟
قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلاً مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ،
فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا؟
فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ
فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟
قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً
قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً،
فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ،
فَقَالَ: أَوَ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟

قَالَ: أَوَ لَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ

قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ،

وَ نُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ،

وَ خَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ.

***فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ،

اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ صُلْبِهِ، وَ مَيَّزَ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ،

وَ أَمَّا الْإِشْهَادُ عَلَيْهِمْ هُنَاكَ بِأَنَّهُ رَبُّهُمْ،

فَمَا هُوَ إِلَّا فِي حَدِيثِ كُلْثُومِ بْنِ جَبْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ،

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وَ قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُمَا مَوْقُوفَانِ لَا مَرْفُوعَانِ، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَ مِنْ ثَمَّ قَالَ قَائِلُونَ مِنَ السَّلَفِ وَ الْخَلْفِ: -

إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْإِشْهَادِ إِنَّمَا هُوَ فَطْرهم عَلَى التَّوْحِيدِ،

كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعِيَاضِ بْنِ حمار المُجَاشعي،

وَ مِنْ رِوَايَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيع.

وَ قَدْ فَسَّرَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ الْآيَةَ بِذَلِكَ،

قَالُوا: وَلِهَذَا قَالَ: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ}

وَ لَمْ يَقُلْ: "مِنْ آدَمَ"، {مِنْ ظُهُورِهِمْ}

وَ لَمْ يُقَلْ: "مِنْ ظَهْرِهِ" {ذُرِّيَّاتِهِمْ} أَيْ:-

جَعَلَ نَسْلَهُمْ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خلائِفَ الأَرْضِ} [الْأَنْعَامِ:165]

وَ قَالَ: {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ} [النَّمْلِ:62]

وَ قَالَ: {كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} [الْأَنْعَامِ:133]

ثُمَّ قَالَ: {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} أَيْ: -
أَوَجَدَهُمْ شَاهِدِينَ بِذَلِكَ، قَائِلِينَ لَهُ حَالًا وَقَالًا.
وَ الشَّهَادَةُ تَارَةً تَكُونُ بِالْقَوْلِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى{قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا} [الْأَنْعَام:130] الْآيَةَ،
وَ تَارَةً تَكُونُ حَالًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ
شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} [التَّوْبَة:17] أَيْ:-
حَالُهُمْ شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ لَا أَنَّهُمْ قَائِلُونَ ذَلِكَ،
وَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ} [الْعَادِيَاتِ:7]
كَمَا أَنَّ السُّؤَالَ تَارَةً يَكُونُ بِالْقَالِ، وَ تَارَةً يَكُونُ بِالْحَالِ،
كَمَا فِي قَوْلِهِ: {وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ} [إِبْرَاهِيمَ:34]
قَالُوا: وَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا هَذَا، أَنْ جَعَلَ هَذَا الْإِشْهَادَ حُجَّةً
عَلَيْهِمْ فِي الْإِشْرَاكِ،
فَلَوْ كَانَ قَدْ وَقَعَ هَذَا كَمَا قَالَهُ مَنْ قَالَ لَكَانَ كُلُّ أَحَدٍ يَذْكُرُهُ،
لِيَكُونَ حُجَّةً عَلَيْهِ.
فَإِنْ قِيلَ: إِخْبَارُ الرَّسُولِ بِهِ كَافٍ فِي وُجُودِهِ،
فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُكَذِّبُونَ بِجَمِيعِ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ
مِنْ هَذَا وَ غَيْرِهِ.
وَ هَذَا جَعَلَ حُجَّةً مُسْتَقِلَّةً عَلَيْهِمْ،
فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ الْفِطْرَةُ الَّتِي فُطِروا عَلَيْهَا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ؛
وَ لِهَذَا قَالَ: {أَنْ يَقُولُوا}أَيْ: لِئَلَّا يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةَ:
{إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا} أَيْ: عَنِ التَّوْحِيدِ {غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا} الْآيَةَ.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾

أي: أخرج من أصلابهم

(ذُرِّيَّتَهُمْ)

و جعلهم يتناسلون و يتوالدون قرنا بعد قرن.

(و) حين أخرجهم من بطون أمهاتهم و أصلاب آبائهم

(وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)

أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار،

بأنه ربهم و خالقهم و مليكهم.

(قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ)

قد أقررنا بذلك، فإن اللّه تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم.

فكل أحد فهو مفطور على ذلك،

و لكن الفطرة قد تغير و تبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة،

و لهذا (قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ)

أي: إنما امتحناكم حتى أقررتم بما تقرر عندكم، من أن اللّه تعالى ربكم،

خشية أن تنكروا يوم القيامة، فلا تقروا بشيء من ذلك،

و تزعمون أن حجة اللّه ما قامت عليكم،

و لا عندكم بها علم، بل أنتم غافلون عنها لاهون.

فاليوم قد انقطعت حجتكم، و ثبتت الحجة البالغة للّه عليكم.

أو تحتجون أيضا بحجة أخرى،

فتقولون: ﴿ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾

***الميسر:أو لئلا تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبلنا**

و نقضوا العهد، فاقتدينا بهم من بعدهم،

فحذونا حذوهم، و تبعناهم في باطلهم.

﴿أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾

***الميسر: أفتعذبنا بما فعل الذين أبطلوا أعمالهم بجعلهم مع الله شريكا في العبادة؟**

فقد أودع اللّه في فطركم، ما يدلكم على أن ما مع آبائكم باطل،

و أن الحق ما جاءت به الرسل،

و هذا يقاوم ما وجدتم عليه آباءكم،و يعلو عليه.

نعم قد يعرض للعبد من أقوال آبائه الضالين،

و مذاهبهم الفاسدة ما يظنه هو الحق،

و ما ذاك إلا لإعراضه، عن حجج اللّه و بيناته، و آياته الأفقية و النفسية،

فإعراضه عن ذلك، و إقباله على ما قاله المبطلون،

ربما صيره بحالة يفضل بها الباطل على الحق،

هذا هو الصواب في تفسير هذه الآيات.

❍و قد قيل: إن هذا يوم أخذ اللّه الميثاق على ذرية آدم، حين استخرجهم من ظهره و أشهدهم على أنفسهم، فشهدوا بذلك،

فاحتج عليهم بما أقروا به في ذلك الوقت على ظلمهم في:-

كفرهم،و عنادهم في الدنيا و الآخرة،

و لكن ليس في الآية ما يدل على هذا، و لا له مناسبة،

و لا تقتضيه حكمة اللّه تعالى،و الواقع شاهد بذلك.

فإن هذا العهد و الميثاق، الذي ذكروا، أنه حين أخرج اللّه ذرية آدم من ظهره،

حين كانوا في عالم كالذر، لا يذكره أحد،

و لا يخطر ببال آدمي، فكيف يحتج اللّه عليهم بأمر ليس عندهم به خبر،

و لا له عين و لا أثر؟

و لهذا لما كان هذا أمرا واضحا جليا، قال تعالى: -

(وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ)

أي: نبينها و نوضحها،

(وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ)

إلى ما أودع اللّه في فطرهم، و إلى ما عاهدوا اللّه عليه، فيرتدعون عن القبائح.

وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا

ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

*** الميسر:و لو شئنا أن نرفع قدره بما آتيناه من الآيات لفعلنا، و لكنه رَكَنَ إلى الدنيا و اتبع هواه،**

وآثر لَذّاته وشهواته على الآخرة،

وامتنع عن طاعة الله وخالف أمره.

فَمَثَلُ هذا الرجل مثل الكلب، إن تطرده

أو تتركه يُخْرِج لسانه في الحالين لاهثًا،

فكذلك الذي انسلخ من آيات الله يظل على كفره إن اجتهدْتَ في دعوتك له أو أهملته،

هذا الوصف -أيها الرسول- وصف هؤلاء القوم الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيهم بالهدى والرسالة،

فاقصص -أيها الرسول- أخبار الأمم الماضية،

ففي إخبارك بذلك أعظم معجزة،

لعل قومك يتدبرون فيما جئتهم به فيؤمنوا لك.

***عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ } الْآيَةَ،

قَالَ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُقَالُ لَهُ: بَلْعم بْنُ أبرَ.

***وَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:

هُوَ رَجُلٌ مِنْ مَدِينَةِ الْجَبَّارِينَ، يُقَالُ لَهُ: "بَلْعَامُ"وَ كَانَ يَعْلَمُ اسْمَ اللَّهِ الْأَكْبَرَ.

***وَ قَالَ السُّدِّيُّ: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا انْقَضَّتِ الْأَرْبَعُونَ سَنَةً الَّتِي قَالَ اللَّهُ:

{فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً} [الْمَائِدَةِ:26]

بَعَثَ يُوشَعَ بْنَ نُونٍ نَبِيًّا، فَدَعَا بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ الْجَبَّارِينَ، فَبَايَعُوهُ وَ صَدَّقُوهُ.
وَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ: "بَلْعَمُ" وَ كَانَ عَالِمًا،
يَعْلَمُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ الْمَكْتُومَ،
فَكَفَرَ -لَعَنَهُ اللَّهُ -وَ أَتَى الْجَبَّارِينَ وَ قَالَ لَهُمْ:-
لَا تَرْهَبُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِنِّي إِذَا خَرَجْتُمْ تُقَاتِلُونَهُمْ أَدْعُوا عَلَيْهِمْ دَعْوَةً فَيَهْلِكُونَ! وَ كَانَ عِنْدَهُمْ فِيمَا شَاءَ مِنَ الدُّنْيَا،
غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ النِّسَاءَ، يُعَظِّمُهُنَّ فَكَانَ يَنْكِحُ أَتَانًا لَهُ،
وَ هُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تعالى {فَانْسَلَخَ مِنْهَا}

يقول تعالى لنبيه ﷺ: (وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا)

أي: علمناه كتاب اللّه، فصار العالم الكبير و الحبر النحرير.

(فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا)

أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات اللّه،

فإن العلم بذلك، يصير صاحبه متصفا بمكارم الأخلاق و محاسن الأعمال،

و يرقى إلى أعلى الدرجات و أرفع المقامات،

فترك هذا كتاب اللّه وراء ظهره، و نبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب،

و خلعها كما يخلع اللباس.فلما انسلخ منها

(فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ)

أي:–تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين،

و صار إلى أسفل سافلين، فـــــأزه إلى المعاصي أزا.

(فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ)

بعد أن كان من الراشدين المرشدين.

و هذا لأن اللّه تعالى خذله و وكله إلى نفسه،

فلهذا قال تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا)

بأن نوفقه للعمل بها، فيرتفع في الدنيا و الآخرة، فيتحصن من أعدائه.

*** لَرَفَعْنَاهُ مِنَ التَّدَنُّسِ عَنْ قَاذُورَاتِ الدُّنْيَا بِالْآيَاتِ الَّتِي آتَيْنَاهُ إِيَّاهَا،

(وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ)

فعل ما يقتضي الخذلان، فَأَخْلَدَ

*** مَالَ إِلَى زِينَةِ الدُّنْيَا وَ زَهْرَتِهَا، وَ أَقْبَلَ عَلَى لَذَّاتِهَا وَ نَعِيمِهَا، وَ غَرَّتْهُ كَمَا غَرَّتْ غَيْرَهُ مِنْ غَيْرِ أُولِي الْبَصَائِرِ وَ النُّهَى.

(إِلَى ٱلْأَرْضِ)،

أي: إلى الشهوات السفلية، و المقاصد الدنيوية.

(وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ)

و ترك طاعة مولاه،

*** وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ؛ أَنَّهُ حَدَّثَ:- أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا نَزَلَ فِي أَرْضِ بَنِي كَنْعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، أَتَى قَوْمُ بَلْعَامَ إِلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ: هَذَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَدْ جَاءَ يُخْرِجُنَا مِنْ بِلَادِنَا وَيَقْتُلُنَا وَ يُحِلُّهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَ إِنَّا قَوْمُكَ، وَ لَيْسَ لَنَا مَنْزِلٌ،

وَ أَنْتَ رَجُلٌ مُجَابُ الدَّعْوَةِ، فَاخْرُجْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ.
قَالَ: وَيلْكُمْ! نَبِيُّ اللهِ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ وَ الْمُؤْمِنُونَ،
كَيْفَ أَذْهَبُ أَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَ أَنَا أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا أَعْلَمُ؟!
قَالُوا لَهُ: مَا لَنَا مِنْ مَنْزِلٍ! فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يُرَقِّقُونَهُ وَ يَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ،
حَتَّى فَتَنُوهُ فَافْتُتِنَ،
فَرَكِبَ حَمَارَةً لَهُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْجَبَلِ الَّذِي يُطْلِعُهُ عَلَى عَسْكَرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
وَ هُوَ جَبَلُ حُسْبان،
فَلَمَّا سَارَ عَلَيْهَا غَيْرَ كَثِيرٍ، رَبَضَتْ بِهِ، فنزل عنها فضربها،
حتى إذا أَذْلَقَهَا قَامَتْ فَرَكِبَهَا.
فَلَمْ تَسِرِ بِهِ كَثِيراً حَتَّى رَبَضَتْ بِهِ، فَضَرَبَهَا حَتَّى إِذَا أَذْلَقَهَا أَذِنَ اللَّهُ لَهَا
فَكَلَّمَتْهُ حُجَّةً عَلَيْهِ،
فَقَالَتْ: وَيْحَكَ يَا بَلْعَمُ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟
أَمَا تَرَى الْمَلَائِكَةَ أَمَامِي تَرُدُّنِي عَنْ وَجْهِي هَذَا؟
أَتَذْهَبُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ وَ الْمُؤْمِنِينَ لِتَدْعُوَ عَلَيْهِمْ؟
فَلَمْ يَنْزِعْ عَنْهَا يَضْرِبُهَا، فَخَلَّى اللَّهُ سَبِيلَهَا حِينَ فَعَلَ بِهَا ذَلِكَ.
فَانْطَلَقَتْ بِهِ حَتَّى إِذَا أَشْرَفَتْ بِهِ عَلَى رَأْسِ حُسْبَانَ،
عَلَى عَسْكَرِ مُوسَى وَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، جَعَلَ يَدْعُو عَلَيْهِمْ،
وَلَا يَدْعُو عَلَيْهِمْ بِشَرٍّ إِلَّا صَرَفَ اللَّهُ لِسَانَهُ إِلَى قَوْمِهِ،
وَلَا يَدْعُو لِقَوْمِهِ بِخَيْرٍ إِلَّا صَرَفَ لِسَانَهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ:
أَتَدْرِي يَا بَلْعَمُ مَا تَصْنَعُ؟ إِنَّمَا تَدْعُو لَهُمْ، وَ تَدْعُو عَلَيْنَا!
قَالَ: فَهَذَا مَا لَا أَمْلِكُ، هَذَا شَيْءٌ قَدْ غَلَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ!
قَالَ: وَ انْدَلَعَ لِسَانُهُ فَوَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ،
فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ ذَهَبَتْ مِنِّي الْآنَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةُ،

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَكْرُ وَ الْحِيلَةُ،
فَسَأَمْكُرُ لَكُمْ وَ أَحْتَالُ، جَمِّلوا النِّسَاءَ وَ أَعْطُوهُنَّ السِّلَعَ،
ثُمَّ أَرْسِلُوهُنَّ إِلَى الْعَسْكَرِ يَبِعْنَهَا فِيهِ،
وَ مُرُوهُنَّ فَلَا تَمْنَعُ امْرَأَةٌ نَفْسَهَا مِنْ رَجُلٍ أَرَادَهَا،
فَإِنَّهُمْ إِنْ زَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاحِدٌ كُفِيتموهم،
فَفَعَلُوا. فَلَمَّا دَخَلَ النِّسَاءُ الْعَسْكَرَ،
مَرَّتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ اسْمُهَا "كَسْبَى ابْنَةُ صُورَ، رَأْسِ أُمَّتِهِ"
بِرَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
وَ هُوَ "زَمْرَى بْنُ شَلُومَ"، رَأْسُ سِبْطِ بَنِي سَمْعَانَ بْنِ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ،
فَقَامَ إِلَيْهَا، فَأَخَذَ بِيَدِهَا حِينَ أَعْجَبَهُ جَمَالُهَا،
ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا حَتَّى وَقَفَ بِهَا عَلَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَقَالَ: إِنِّي أَظُنُّكَ سَتَقُولُ هَذَا حَرَامٌ عَلَيْكَ؟
قَالَ: أَجَلْ، هِيَ حَرَامٌ عَلَيْكَ، لَا تَقْرَبْهَا.
قَالَ: فَوَاللَّهِ لَا نُطِيعُكَ فِي هَذَا.
ثُمَّ دَخَلَ بِهَا قُبَّتَهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا.
وَأَرْسَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، الطَّاعُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ،
وَ كَانَ فِنْحَاصُ بْنُ الْعَيْزَارِ بْنِ هَارُونَ، صَاحِبَ أَمْرِ مُوسَى،
وَ كَانَ غَائِبًا حِينَ صَنَعَ زَمْرَى بْنُ شَلُومَ مَا صَنَعَ،
فَجَاءَ وَ الطَّاعُونُ يَجُوسُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَأُخْبِرَ الْخَبَرَ، فَأَخَذَ حَرْبَتَهُ،
وَ كَانَتْ مِنْ حَدِيدٍ كُلُّهَا، ثُمَّ دَخَلَ الْقُبَّةَ وَ هُمَا مُتَضَاجِعَانِ،
فَانْتَظَمَهُمَا بِحَرْبَتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا رَافِعَهُمَا إِلَى السَّمَاءِ،

وَ الْحَرْبَةُ قَدْ أَخَذَهَا بِذِرَاعِهِ،
وَ اعْتَمَدَ بِمِرْفَقِهِ عَلَى خَاصِرَتِهِ،
وَأَسْنَدَ الْحَرْبَةَ إِلَى لَحْيَيْه -وَ كَانَ بَكْرَ الْعَيْزَارِ -
وَ جَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَكَذَا نَفْعَلُ بِمَنْ يَعْصِيكَ.
وَ رُفِعَ الطَّاعُونُ، فَحُسِبَ مَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الطَّاعُونِ فِيمَا بَيْنُ أَنْ أَصَابَ زَمْرَى الْمَرْأَةَ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ فِنْحَاصُ،
فَوَجَدُوهُ قَدْ هَلَكَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا -
وَ الْمُقَلِّلُ لَهُمْ يَقُولُ: عِشْرُونَ أَلْفًا -فِي سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ.
فَمِنْ هُنَالِكَ تُعْطِي بَنُو إِسْرَائِيلَ وَلَدَ فِنْحَاصَ مِنْ كُلِّ ذَبِيحَةٍ ذَبَحُوهَا الْقُبَّةَ
وَ الذِّرَاعَ و اللَّحَى -لِاعْتِمَادِهِ بِالْحَرْبَةِ عَلَى خَاصِرَتِهِ،
وَ أَخْذِهِ إِيَّاهَا بِذِرَاعِهِ، وَ إِسْنَادِهِ إِيَّاهَا إِلَى لَحْيَيْهِ -
وَ الْبِكْرَ مِنْ كُلِّ أَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ؛
لِأَنَّهُ كَانَ بَكْرَ أَبِيهِ الْعَيْزَارِ. فَفِي بَلْعَامَ بْنِ بَاعُورَاءَ أَنْزَلَ اللَّهُ:
{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ}-
إِلَى قَوْلِهِ: {لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}

(فَمَثَلُهُ) في شدة حرصه على الدنيا و انقطاع قلبه إليها،

(كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ)
*** اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهُ
1- فَأَمَّا عَلَى سِيَاقِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَالِمِ بن أبي النضر:
أن بلعاما انْدَلَعَ لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ -فَتَشْبِيهُهُ بِالْكَلْبِ فِي لَهْثِهِ فِي كِلْتَا حَالَتَيْهِ إِنْ زُجِرَ وَ إِنْ تُرِكَ.
2-وَ قِيلَ: مَعْنَاهُ: فَصَارَ مِثْلَهُ فِي ضَلَالِهِ وَ اسْتِمْرَارِهِ فِيهِ،

وَ عَدَمِ انْتِفَاعِهِ بِالدُّعَاءِ إِلَى الْإِيمَانِ وَ عَدَمِ الدُّعَاءِ،
كَالْكَلْبِ فِي لَهْثِهِ فِي حَالَتَيْهِ، إن حَمَلْتَ عَلَيْهِ وَإِنَّ تَرَكْتَهُ،
هُوَ يَلْهَثُ فِي الْحَالَيْنِ،
فَكَذَلِكَ هَذَا لَا يَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَلَا عَدَمِهِ؛
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الْبَقَرَة:6]

أي: لا يزال لاهثا في كل حال، و هذا لا يزال حريصا، حرصا قاطعا قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا.

(ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ)

بعد أن ساقها اللّه إليهم، فلم ينقادوا لها،

بل كذبوا بها و ردوها، لهوانهم على اللّه،

و اتباعهم لأهوائهم، بغير هدى من اللّه.

(فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)

في ضرب الأمثال،و في العبر و الآيات،

فإذا تفكروا علموا، و إذا علموا عملوا.

*** لَعَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعَالِمِينَ بِحَالِ بَلْعَامَ، وَ مَا جَرَى لَهُ فِي إِضْلَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ
وَ إِبْعَادِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ، بِسَبَبِ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ -فِي تَعْلِيمِهِ الِاسْمَ
الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَ إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ -
فِي غَيْرِ طَاعَةِ رَبِّهِ، بَلْ دَعَا بِهِ عَلَى حِزْبِ الرَّحْمَنِ، وَ شِعْبِ الْإِيمَانِ،
أَتْبَاعِ عَبْدِهِ وَ رَسُولِهِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، كَلِيمِ اللَّهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام

(سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ)

***يَقُولُ تَعَالَى سَاءَ مَثَلًا مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، أَيْ:-
سَاءَ مَثَلُهُمْ أَنْ شُبِّهُوا بِالْكِلَابِ الَّتِي لَا هِمَّةَ لَهَا إِلَّا فِي تَحْصِيلِ أَكْلَةٍ أَوْ شَهْوَةٍ، فَمَنْ خَرَجَ عَنْ حَيِّزِ الْعِلْمِ وَ الْهُدَى وَ أَقْبَلَ عَلَى شَهْوَةِ نَفْسِهِ، وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ، صَارَ شَبِيهًا بِالْكَلْبِ، وَ بِئْسَ الْمَثَلُ مَثَلُهُ؛ وَ لِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ
***صحيح البخاري
2622 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ، الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ»( )
أي: ساء و قبح، مثل من كذب بآيات اللّه، و ظلم نفسه بأنواع المعاصي،

فإن مثلهم مثل السوء، و هذا الذي آتاه اللّه آياته،

يحتمل أن المراد به شخص معين، قد كان منه ما ذكره اللّه،

فقص اللّه قصته تنبيها للعباد.

و يحتمل أن المراد بذلك أنه اسم جنس،

و أنه شامل لكل من آتاه اللّه آياته فانسلخ منها.

و في هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم،

و أن ذلك رفعة من اللّه لصاحبه، و عصمة من الشيطان،

و الترهيب من عدم العمل به،

و أنه نزول إلى أسفل سافلين،

(ليس لنا مثل السوء) لا ينبغي لنا أن نتصف بصفة ذميمة نشابه فيها أخس الحيوانات في أخس الأحوال]

و تسليط للشيطان عليه،

و فيه أن اتباع الهوى،

و إخلاد العبد إلى الشهوات، يكون سببا للخذلان.

ثم قال تعالى مبينا أنه المنفرد بالهداية و الإضلال:

(مَن يَهْدِ ٱللَّهُ)

بأن يوفقه للخيرات، و يعصمه من المكروهات، و يعلمه ما لم يكن يعلم

(فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى)

حقا لأنه آثر هدايته تعالى،

(وَمَن يُضْلِلْ)

فيخذله و لا يوفقه للخير

(فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ)

لأنفسهم و أهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ
أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ
أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ
يَعۡدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾
وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ
إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن
شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن
يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ
مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا
تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا
يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

يقول تعالى مبينا كثرة الغاوين الضالين، المتبعين إبليس اللعين:

(وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا) أي: أنشأنا و بثثنا

(لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ)

صارت البهائم أحسن حالة منهم.

***هَيَّأْنَاهُمْ لَهَا، وَ بِعَمَلِ أَهْلِهَا يَعْمَلُونَ،

*** صحيح مسلم

(2662) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ:-

تُوُفِّيَ صَبِيٌّ، فَقُلْتُ: طُوبَى لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ،

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

أَوَ لَا تَدْرِينَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَ خَلَقَ النَّارَ، فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا وَ لِهَذِهِ أَهْلًا

*** صحيح مسلم

2643-قال النبي ﷺ

ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ،

وَ يُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَ أَجَلِهِ، وَ عَمَلِهِ، وَ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ،

(لَهُمۡ قُلُوبٌ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا)

أي: لا يصل إليها فقه و لا علم، إلا مجرد قيام الحجة.

(وَلَهُمۡ أَعۡيُنٌ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا)

ما ينفعهم، بل فقدوا منفعتها و فائدتها.

(وَلَهُمۡ ءَاذَانٌ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ)

سماعا يصل معناه إلى قلوبهم.

*** لَيْسَ يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْجَوَارِحِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ سَبَبًا لِلْهِدَايَةِ
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الْأَحْقَافِ:26]
وَقَالَ تَعَالَى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [الْبَقَرَةِ:18]
هَذَا فِي حَقِّ الْمُنَافِقِينَ،
وَ قَالَ فِي حَقِّ الْكَافِرِينَ: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الْبَقَرَةِ:171]
وَ لَمْ يَكُونُوا صُمًّا بُكْمًا عُمْيًا إِلَّا عَنِ الْهُدَى،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنفال:23]
وَقَالَ: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الْحَجِّ:46] ،
وَ قَالَ {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الزُّخْرُفِ:36، 37] .

(أُوْلَٰٓئِكَ) الذين بهذه الأوصاف القبيحة

(كَٱلۡأَنۡعَٰمِ)

أي: البهائم، التي فقدت العقول،

و هؤلاء آثروا ما يفنى على ما يبقى، فسلبوا خاصية العقل.

*** هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ وَ لَا يَعُونَهُ وَ لَا يُبْصِرُونَ الْهُدَى،
كَالْأَنْعَامِ السَّارِحَةِ الَّتِي لَا تَنْتَفِعُ بِهَذِهِ الْحَوَاسِّ مِنْهَا إِلَّا فِي الَّذِي يَعِيشُهَا مِنْ ظَاهِرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ} [الْبَقَرَةِ:171]

أَيْ: وَ مَثَلُهُمْ -فِي حَالِ دُعَائِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ -كَمَثَلِ الْأَنْعَامِ إِذَا دَعَاهَا رَاعِيهَا لَا تَسْمَعُ إِلَّا صَوْتَهُ، وَ لَا تَفْقَهُ مَا يَقُولُ؛

(بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ)

من البهائم، فإن الأنعام مستعملة فيما خلقت له، و لها أذهان، تدرك بها،

مضرتها من منفعتها، فلذلك كانت أحسن حالا منهم.

(أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ)

الذين غفلوا عن أنفع الأشياء، غفلوا عن الإيمان باللّه و طاعته و ذكره.

خلقت لهم الأفئدة و الأسماع و الأبصار،

لتكون عونا لهم على القيام بأوامر اللّه و حقوقه،

فاستعانوا بها على ضد هذا المقصود.

فهؤلاء حقيقون بأن يكونوا ممن ذرأ اللّه لجهنم و خلقهم لها،

فخلقهم للنار، و بأعمال أهلها يعملون.

وأما من استعمل هذه الجوارح في عبادة اللّه،

و انصبغ قلبه بالإيمان باللّه و محبته،

و لم يغفل عن اللّه، فهؤلاء، أهل الجنة، و بأعمال أهل الجنة يعملون.

وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ

سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠

*** صحيح البخاري

6410 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رِوَايَةً، قَالَ:

«لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لاَ يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَ هُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الوَتْرَ»( )

***ثُمَّ لِيُعْلَمْ أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى لَيْسَتْ مُنْحَصِرَةً فِي التِّسْعَةِ وَ التِّسْعِينَ بِدَلِيلِ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ،

مسند أحمد ط الرسالة

4318 - عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

" مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَ حَزَنٌ:

اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَ ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ،

نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ،

عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ،

أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ،

سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ،

أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ،

أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ،

أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ،

أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي،

وَ نُورَ صَدْرِي، وَ جِلَاءَ حُزْنِي، وَ ذَهَابَ هَمِّي،

إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ،

(رواية) أي عن النبي ﷺ. (لا يحفظها) عن ظهر قلب وهذا يستلزم تكرارها وهو المقصود. وقيل حفظها الخضوع لمعانيها والعمل بما تقتضيه. (وتر) واحد لا شريك له. (يحب الوتر) أكثر قبولا لما كان وترا ولذلك جعله في كثير من العبادات و المخلوقات كالصلوات الخمس والطواف سبعا و السموات و غير ذلك و ندب التثليث في كثير من الأعمال كالوضوء والغسل]

ج 9-م 13-ص174

وَ أَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا "
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟
قَالَ: " أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ " (1)

❍هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي:-

له كل اسم حسن،

و ضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة،و بذلك كانت حسنى،

☼فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علما محضا لم تكن حسنى،

☼و كذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال،

بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح و القدح، لم تكن حسنى،

فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها،

مستغرق لجميع معناها.

و ذلك نحو (العليم):-

الدال على أن له علما محيطا عاما لجميع الأشياء،

فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء.

و (كالرحيم) :-

الدال على أن له رحمة عظيمة، واسعة لكل شيء.

و (كالقدير):-

الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، و نحو ذلك.

و من تمام كونها « حسنى » أنه لا يدعى إلا بها،

و لذلك قال: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾

و هذا شامـــــــل:-

1-لـــــــدعاء العبادة،

2-و دعـــــــاء المسألة،

فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب،

فيقول الداعي مثلا اللّهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم،

و تب عَلَيَّ يا تواب، و ارزقني يا رزاق، و الطف بي يا لطيف و نحو ذلك.

و قوله: (وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

أي: عقوبة و عذابا على إلحادهم في أسمائه،

و حقيقة الإلحاد الميل بها عما جعلت له، إما بـــــــ:-

1-أن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لآلهتهم،

(((***إِلْحَادُ الْمُلْحِدِينَ:
اشْتَقُّوا "اللَّاتَ" مِنَ اللَّهِ، وَ اشْتَقُّوا "الْعُزَّى" مِنَ الْعَزِيزِ)))

[*و مناة من المنان]

2-و إما بنفي معانيها و تحريفها،

و أن يجعل لها معنى ما أراده اللّه و لا رسوله،

3-و إما أن يشبه بها غيرها،

فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها، و يحذر الملحدون فيها،

و قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ

(أن للّه تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة)

وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٨١﴾

أي: و من جملة من خلقنا أمة فاضلة كاملة في نفسها، مكملة لغيرها،

يهدون أنفسهم و غيرهم بالحق،

فيعلمون الحق و يعملون به، و يعلِّمونه، و يدعون إليه و إلى العمل به.

(وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ)

بين الناس في أحكامهم إذا حكموا في:-

[الأموال و الدماء و الحقوق و المقالات، و غير ذلك]

و هؤلاء هم أئمة الهدى، و مصابيح الدجى،

و هم الذين أنعم اللّه عليهم بـــــــ:-

1-الإيمــــــان

2-و العمـــــــل الصالح،

3-و التـــــــواصي بالحق و التواصي بالصبر،

و هم الصديقون الذين مرتبتهم تلي مرتبة الرسالة،

و هم في أنفسهم مراتب متفاوتة كل بحسب حاله و علو منزلته،

فسبحان من يختص برحمته من يشاء، و اللّه ذو الفضل العظيم.

*****صحيح البخاري**

3641عن مُعَاوِيَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ:

« لاَيَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ،

لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَ لاَ مَنْ خَالَفَهُمْ،

حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»

قَالَ عُمَيْرٌ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ:
قَالَ مُعَاذٌ: وَ هُمْ بِالشَّأْم،
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَ هُمْ بِالشَّأْمِ

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾

أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾

مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

أي:و الذين كذبوا بآيات اللّه الدالة على صحة ما جاء به محمد ﷺمن الهدى

فردوها و لم يقبلوها.

(سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ)

بأن يدر لهم الأرزاق.

(وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ)

***أُطول لهم ما هم فيه

أي: أُمْهِلُهُم حتى يظنوا أنهم لا يؤخذون و لا يعاقبون،

فيزدادون كفرا و طغيانا،

و شرا إلى شرهم،

و بذلك تزيد عقوبتهم،

و يتضاعف عذابهم، فيضرون أنفسهم من حيث لا يشعرون،

***كقوله﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ الأنعام: ٤٤

و لهذا قال: (إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ)

أي: قوي بليغ.

***الميسر :قوي شديد لا يُدْفع بقوة و لا بحيلة.**

(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم)

محمد ﷺ

(مِّن جِنَّةٍ)

أي: أَوَ لَمْ يُعْمِلُوا أفكارهم،

و ينظروا: هل في صاحبهم الذي يعرفونه و لا يخفى عليهم من حاله شيء،

هل هو مجنون؟

فلينظروا في أخلاقه و هديه، و دله و صفاته، و ينظروا في ما دعا إليه،

فلا يجدون فيه من الصفات إلا أكملها،

و لا من الأخلاق إلا أتمها،

و لا من العقل و الرأي إلا ما فاق به العالمين،

و لا يدعو إلا لكل خير،

و لا ينهى إلا عن كل شر.

أفبهذا يا أولي الألباب من جنة؟

أم هو الإمام العظيم و الناصح المبين، و الماجد الكريم، و الرءوف الرحيم؟

***كقوله﴿ وَمَاصَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾التكوير: ٢٢

﴿ مَآأَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ القلم: ٢

و لهذا قال: (إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ)

أي: يدعو الخلق إلى ما ينجيهم من العذاب، و يحصل لهم الثواب.

(أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)

فإنهم إذا نظروا إليها، وجدوها أدلة دالة على توحيد ربها،

و على ما له من صفات الكمال.

(و) كذلك لينظروا إلى جميع

(وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ)

فإن جميع أجزاء العالم، يدل أعظم دلالة على اللّه و قدرته و حكمته و سعة رحمته، و إحسانه، و نفوذ مشيئته، و غير ذلك من صفاته العظيمة،

الدالة على تفرده بالخلق و التدبير،

الموجبة لأن يكون هو المعبود المحمود، المسبح الموحد المحبوب.

و قوله: (وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ)

أي: لينظروا في خصوص حالهم،

و ينظروا لأنفسهم قبل أن يقترب أجلهم،

و يفجأهم الموت و هم في غفلة معرضون،

فلا يتمكنون حينئذ، من استدراك الفارط.

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ)

أي: إذا لم يؤمنوا بهذا الكتاب الجليل، فبأي حديث يؤمنون به؟

« أبكتب الكذب و الضلال؟

أم بحديث كل مفتر دجال؟

و لكن الضال لا حيلة فيه، و لا سبيل إلى هدايته.

*** فَبِأَيِّ تَخْوِيفٍ وَ تَحْذِيرٍ وَ تَرْهِيبٍ -بَعْدَ تَحْذِيرِ مُحَمَّدٍ وَ تَرْهِيبِهِ، الَّذِي أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فِي آيِ كِتَابِهِ -يُصَدِّقُونَ،
إِنْ لَمْ يُصَدِّقُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌﷺ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ؟! .

و لهذا قال تعالى (مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ)

أي: متحيرين يترددون، لا يخرجون منه و لا يهتدون إلى حق.

***مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِيهِ أَحَدٌ، وَ لَوْ نَظَرَ لِنَفْسِهِ فِيمَا نَظَرَ، فَإِنَّهُ لَا يُجْزِي عَنْهُ شَيْئًا،
{وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [الْمَائِدَة:41]
قَالَ تَعَالَى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يُونُس:101]

(وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ)

***الميسر: و يتركهم في كفرهم يتحيرون و يترددون.**

يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: -

(يَسۡـَٔلُونَكَ) **أي: المكذبون لك، المتعنتون**

(عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ)

أي: متى وقتها الذي تجيء به، و متى تحل بالخلق؟

*****كقوله** ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ الأحزاب: ٦٣

*****كقوله** ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ الأنبياء: ٣٨

(قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ)

أي: إنه تعالى مختص بعلمها،

(لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ)

أي: لا يظهرها لوقتها الذي قدر أن تقوم فيه إلا هو.

(ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)

***الميسر : ثَقُلَ علمها،**

أي: خفي علمها على أهل السماوات و الأرض،

و اشتد أمرها أيضا عليهم، فهم من الساعة مشفقون.

(لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ)

أي: فجأة من حيث لا تشعرون، لم يستعدوا لها، و لم يتهيأوا لقيامها.

(يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ)

***كأنك عالم بها

أي: هم حريصون على سؤالك عن الساعة،

كأنك مستحف عن السؤال عنها،

و لم يعلموا أنك – لكمال علمك بربك،

و ما ينفع السؤال عنه – غير مبال بالسؤال عنها،

و لا حريص على ذلك، فَلِمَ لا يقتدون بك؟

و يكفون عن الاستحفاء عن هذا السؤال الخالي من المصلحة المتعذر علمه،

فإنه لا يعلمها نبي مرسل، و لا ملك مقرب.

و هي من الأمور التي أخفاها الله عن الخلق، لكمال حكمته و سعة علمه.

***صحيح البخاري حديث :[50]

قَال النبي ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟

قَالَ جبريل: " مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ،

***أي لَسْتُ أَعْلَمَ بِهَا مِنْكَ وَ لَا أَحَدَ أَعْلَمُ بِهَا مِنْ أَحَدٍ،

ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} الْآيَةَ (1)

(قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ)

فلذلك حرصوا على ما لا ينبغي الحرص عليه،

و خصوصا مثل حال هؤلاء الذين يتركون السؤال عن الأهم،

و يدعون ما يجب عليهم من العلم،

ثم يذهبون إلى ما لا سبيل لأحد أن يدركه، و لا هم مطالبون بعلمه.

***** صحيح البخاري**

6506 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: " لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا،
فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ،
فَذَلِكَ حِينَ: {لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ،
أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: 158]
وَ لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَ قَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا
فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ،وَ لاَ يَطْوِيَانِهِ،
وَ لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَ قَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ،
وَ لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَ هُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ،
وَ لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَ قَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا "( )

الاعجاز العلمي في (لهم قلوب لا يفقهون بها)

الرابط

الحقائق العلمية في هذا الصدد:

(نشر الرجلان ثوبهما) ليتبايعاه. (لقحته) هي الناقة الحلوب. (يليط) يصلح ويطين. (أكلته) لقمته. (فلا يطعمها) فلا يأكلها ويحول بينه وبين أكلها قيام الساعة فجأة وبأسرع من دفع اللقمة إلى الفم]

في خبر نشرته قناة mbc قبل أيام مفاده أن مجموعة من الأطباء الأمريكان وجدوا مجموعة من الخلايا العصبية في جدار القلب،

و أن هذه الخلايا مسئولة عن اتخاذ القرار في الجسم،

و في برنامج وثائقي عرضته أخيراً إحدى المحطات الأجنبية،

❍ورد خبر يتحدث عن اكتشاف جديد، مفاده أن القلب هو أحد أهم مراكز الذكريات و المواهب و القدرات الفكرية لدى الإنسان،

و أن هذا الدور ليس حكراً على الدماغ،

❍أما البرهان القاطع على هذه الفرضية:-

فمنحته إحدى عمليات زرع القلب الغريبة التي تمت أخيراً،

حيث أودع قلب شاعر توفى حديثاً صَدْرَ سائق شاحنات هجر المدرسة في الخامسة عشرة من عمره،

و بعد الجراحة، شرع سائق الشاحنات، ذو الجسد المغطى بالأوشام،

في كتابة القصائد،

و لدى مقارنة نصوص هذا السائق بقصائد الشاعر الراحل الذي وهبه قلبه،

تبين أنها متشابهة للغاية،

و قد فسر العلماء ذلك بأن القلب يحتوي على خلايا عصبيه تؤدي دور دماغ صغير موصول بالدماغ الرئيسي،

تتيح له أن يخزن الذكريات و الميول الفكرية، لا المشاعر فحسب، ما يجعل متلقي القلب الموهوب يصاب بعدوى سلوك الواهب و شخصيته و طباعه

و ذوقه، بل و حتى ثقافته[10].

وجه الإعجاز:

وإن كانت الحقائق العلمية ما زالت في طور التجدد والاكتشاف إلا أن ما وصلنا منها يشير إلى صحة القول بأن العقل هو في القلب

و ليس في الدماغ، و هذا ما أشارت إليه الآيات الكريمات بمجموعها،

و إن كان بعضها أدل من بعض بهذا الخصوص و لا أدل من قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

[الحج: 46]

على أن العقل الذي هو مناط التكليف وسيد الجسد و قائده إنما هو في القلب، فقوله: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾

لا يحتاج إلى كثير تأمل في أن القلب هو محل العقل،

و إنما جاءت الاكتشافات العلمية الحديثة بمثابة برهان جديد من نوع البراهين العلمية التي تؤكد المعنى القديم و تزيده وضوحاً و سطوعاً،

و ليكون هذا الدليل الجديد صرخة في آذان الذين يصمّون أسماعهم عن القول الحق، شعارهم في ذلك مثل سلفهم من الجاحدين

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾

[فصلت: 26]،

و بالمناسبة فإنه و في نفس السورة تجد أن الله سبحانه بشرنا بأنه سيرينا ما به تقوم الحجة على الكافرين المعاندين، فقال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]

لأن سماع القرآن يفتح الآفاق أمام من قرأه و تأمل به،

و يبشر المؤمنين بأن الله الذي أنزل هذا القرآن و حفظه سيجعل فيه الآيات و البراهين والأدلة لكل زمان و مكان و لا يستثني به طائفة دون أخرى من غير أن تقوم عليهم الحجة،

سواء كانوا علمانيين لا يؤمنون إلا بالمادة ومشتقاتها أو كانوا ملحدين لا يؤمنون إلا بالعلم واكتشافاته،

و هكذا فإن كلام الخالق هو سر الأسرار و كنز لكل عاقل،

فالحمد لله الذي جعل لمن آمن به الحجة القاطعة، و المدد الإيماني بهذا الحق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

إعداد: قسطاس إبراهيم النعيمي

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ
لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨
۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا
صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ
ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١
وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا
يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ
١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ
بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ
لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨

(قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا)

فإني فقير مدبر، لا يأتيني خير إلا من اللّه،

و لا يدفع عني الشر إلا هو، و ليس لي من العلم إلا ما علمني اللّه تعالى.

(وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا } [الْجِنِّ:26، 27]

أي: لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تنتج لي المصالح و المنافع،

و لحذرت من كل ما يفضي إلى سوء و مكروه،

لعلمي بالأشياء قبل كونها، و علمي بما تفضي إليه.

(وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ)

و لكني – لعدم علمي – قد ينالني ما ينالني من السوء،

و قد يفوتني ما يفوتني من مصالح الدنيا و منافعها،

فهذا أدل دليل على أني لا علم لي بالغيب.

(إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ)

أنذر العقوبات الدينية و الدنيوية و الأخروية،

و أبين الأعمال المفضية إلى ذلك، و أحذر منها.

(وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مَرْيَمَ:97]
بالثواب العاجل و الآجل، ببيان الأعمال الموصلة إليه و الترغيب فيها،
و لكن ليس كل أحد يقبل هذه البشارة و النذارة،
و إنما ينتفع بذلك و يقبله المؤمنون،
و هذه الآيات الكريمات،مبينة جهل من يقصد النبي ﷺو يدعوه لحصول نفع أو دفع ضر.
فإنه ليس بيده شيء من الأمر، و لا ينفع من لم ينفعه اللّه،
و لا يدفع الضر عمن لم يدفعه اللّه عنه،
و لا له من العلم إلا ما علمه اللّه تعالى،
و إنما ينفع من قبل ما أرسل به من البشارة و النذارة، و عمل بذلك،
فهذا نفعه ﷺ، الذي فاق نفع الآباء و الأمهات،و الأخلاء و الإخوان بما حث العباد على كل خير، و حذرهم عن كل شر،
و بينه لهم غاية البيان و الإيضاح.

۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾

وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾

أي: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم)

أيها الرجال و النساء، المنتشرون في الأرض على كثرتكم و تفرقكم.

(مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) و هو آدم أبو البشر ﷺ

(وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)

أي: خلق من آدم زوجته حواء

(لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ)

***ليألفها

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الرُّوم:21]

فَلَا أُلْفَةَ بَيْنَ زَوْجين أَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ

وَ لِهَذَا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ السَّاحِرَ رُبَّمَا تَوَصَّلَ بِكَيْدِهِ إِلَى التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ.

❍لأجل أن يسكن إليها لأنها إذا كانت منه حصل بينهما من المناسبة

و الموافقة ما يقتضي سكون أحدهما إلى الآخر،

فانقاد كل منهما إلى صاحبه بزمام الشهوة.

(فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا)

أي: تجللها مجامعا لها قدَّر الباري أن يوجد من تلك الشهوة و ذلك الجماع النسل،

و حينئذ (حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفًا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ)،

و ذلك في ابتداء الحمل، لا تحس به الأنثى، و لا يثقلها.

(فَلَمَّآ) استمرت به (((***بحمله)))

و (أَثۡقَلَت)

به حين كبر في بطنها، فحينئذ صار في قلوبهما الشفقة على الولد،

و على خروجه حيا، صحيحا، سالما لا آفة فيه

كذلك فـــــ (دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا)

ولدا

(صَٰلِحٗا)

أي: صالح الخلقة تامها، لا نقص فيه

(لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ)

(فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا)

على وفق ما طلبا، و تمت عليهما النعمة فيه

(جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ)

أي: جعلا للّه شركاء في ذلك الولد الذي انفرد اللّه بإيجاده و النعمة به،

و أقرَّ به أعين والديه، فَعَبَّدَاه لغير اللّه.

1–إما أن يسمياه بعبد غير اللّه

ك « عبد الحارث » و « عبد العزي » و « عبد الكعبة » و نحو ذلك،

2–أو يشركا باللّه في العبادة، بعدما منَّ اللّه عليهما بما منَّ من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد.

و هذا انتقال من النوعِ إلى الجنس، فإن أول الكلام في آدم و حواء،

ثم انتقل إلى الكلام في الجنس،

و لا شك أن هذا موجود في الذرية كثيرا،

فلذلك قررهم اللّه على بطلان الشرك،

و أنهم في ذلك ظالمون أشد الظلم، سواء كان الشرك في الأقوال،

أم في الأفعال،

فإن الخالق لهم من نفس واحدة،

الذي خلق منها زوجها و جعل لهم من أنفسهم أزواجا،

ثم جعل بينهم من المودة و الرحمة ما يسكن بعضهم إلى بعض،

و يألفه و يلتذ به،

ثم هداهم إلى ما به تحصل الشهوة و اللذة و الأولاد و النسل.

ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات، وقتا موقوتا، تتشوف إليه نفوسهم،

و يدعون اللّه أن يخرجه سويا صحيحا،

فأتم اللّه عليهم النعمة و أنالهم مطلوبهم.

أفلا يستحق أن يعبدوه، و لا يشركوا به في عبادته أحدا،

و يخلصوا له الدين.

و لكن الأمر جاء على العكس،

(أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ)

*** بَلْ هُمْ مَخْلُوقُونَ مَصْنُوعُونَ كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ:

{قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصَّافَّاتِ:95، 96]

(وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ)

أي: لعابديها

(نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ) .

فإذا كانت لا تخلق شيئا، و لا مثقال ذرة، بل هي مخلوقة،

و لا تستطيع أن تدفع المكروه عن من يعبدها، بل و لا عن أنفسها،

فكيف تتخذ مع اللّه آلهة؟

إن هذا إلا أظلم الظلم، و أسفه السفه.

*** وَ لَا لِأَنْفُسِهِمْ يَنْصُرُونَ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ،

كَمَا كَانَ الْخَلِيلُ، عليه السلام

يَكْسِرُ أَصْنَامَ قَوْمِهِ و يهينُها غَايَةَ الْإِهَانَةِ،

كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: {فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ} [الصَّافَّاتِ:93]
وَقَالَ تَعَالَى: {فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ}
[الْأَنْبِيَاءِ:58]

(وَإِن تَدْعُوهُمْ)

و إن تدعوا، أيها المشركون هذه الأصنام، التي عبدتم من دون اللّه

(إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ)

*** ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهَا عَبِيدٌ مِثْلَ عَابِدِيهَا

❍فصار الإنسان أحسن حالة منها،

لأنها لا تسمع، و لا تبصر، و لا تهدِي و لا تُهدى،

و كل هذا إذا تصوره اللبيب العاقل تصورا مجردا،

جزم ببطلان إلهيتها، و سفاهة من عبدها.

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

و هذا من نوع التحدي للمشركين العابدين للأوثان، يقول تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ)

أي: لا فرق بينكم و بينهم، فكلكم عبيد للّه مملوكون،

فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئا

(فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)

فإن استجابوا لكم و حصلوا مطلوبكم،

و إلا تبين أنكم كاذبون في هذه الدعوى، مفترون على اللّه أعظم الفرية،

(أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ)

و هذا لا يحتاج إلى التبيين فيه،

فإنكم إذا نظرتم إليها وجدتم صورتها دالة على أنه ليس لديها من النفع شيء،

فليس لها أرجل تمشي بها،

و لا أيد تبطش بها،

و لا أعين تبصر بها،

و لا آذان تسمع بها،

فهي عادمة لجميع الآلات و القوى الموجودة في الإنسان.

فإذا كانت لا تجيبكم إذا دعوتموها، و هي عباد أمثالكم،

بل أنتم أكمل منها و أقوى على كثير من الأشياء، فلأي شيء عبدتموها.

(قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ)

أي: اجتمعوا أنتم و شركاؤكم على إيقاع السوء و المكروه بي،

من غير إمهال و لا إنظار فإنكم غير بالغين لشيء من المكروه بي.

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ
لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا
يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ
عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم
مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم
بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن
رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ
وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ
مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا
يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾

(إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ)

الذي يتولاني فيجلب لي المنافع و يدفع عني المضار.

(ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ)

الذي فيه الهدى و الشفاء و النور،

و هو من توليته و تربيته لعباده الخاصة الدينية.

(وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ)

الذين صلحت نياتهم و أعمالهم و أقوالهم،

كما قال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)

فالمؤمنون الصالحون – لما تولوا ربهم بالإيمان و التقوى،

و لم يتولوا غيره ممن لا ينفع و لا يضر –

🡰

1-تـــــــولاهم اللّه و لطف بهم

2-و أعـــــانهم على ما فيه الخير و المصلحة لهم، في دينهم و دنياهم،

3-و دفـــــع عنهم بإيمانهم كل مكروه،

كما قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)

***كقوله

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هود: ٥٤ - ٥٦

وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾

وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

و هذا أيضا في بيان عدم استحقاق هذه الأصنام التي يعبدونها من دون اللّه لشيء من العبادة،

لأنها ليس لها استطاعة و لا اقتدار في نصر أنفسهم،

و لا في نصر عابديها، و ليس لها قوة العقل و الاستجابة.

فلو دعوتها إلى الهدى لم تهتد،

و هي صور لا حياة فيها،

فتراهم ينظرون إليك، و هم لا يبصرون حقيقة،

لأنهم صوروها على صور الحيوانات من الآدميين أو غيرهم،

و جعلوا لها أبصارا و أعضاء،

فإذا رأيتها قلت: هذه حية،

فإذا تأملتها عرفت أنها جمادات لا حراك بها، و لا حياة،

فبأي رأي اتخذها المشركون آلهة مع اللّه؟

و لأي مصلحة أو نفع عكفوا عندها و تقربوا لها بأنواع العبادات؟

فإذا عرف هذا، عرف أن المشركين و آلهتهم التي عبدوها،

لو اجتمعوا، و أرادوا أن يكيدوا من تولاه فاطر الأرض و السماوات،

متولي أحوال عباده الصالحين،

لم يقدروا على كيده بمثقال ذرة من الشر،

لكمال عجزهم و عجزها،

و كمال قوة اللّه و اقتداره، و قوة من احتمى بجلاله و توكل عليه.

(وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ)

***كقوله﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾فاطر: ١٤

*** يُقَابِلُونَكَ بِعُيُونٍ مُصَوَّرَةٍ كَأَنَّهَا نَاظِرَةٌ، وَ هِيَ جَمَادٌ؛
وَ لِهَذَا عَامَلَهُمْ مُعَامَلَةَ مَنْ يَعْقِلُ؛ لِأَنَّهَا عَلَى صُوَرٍ مُصَوَّرَةٍ كَالْإِنْسَانِ،
فَقَالَ{وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ} فَعَبَّرَ عَنْهَا بِضَمِيرِ مَنْ يَعْقِلُ.

و قيل: إن معنى قوله (وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ)

أن الضمير يعود إلى المشركين المكذبين لرسول اللّه ﷺ،

فتحسبهم ينظرون إليك يا رسول اللّه نظر اعتبار يتبين به الصادق من الكاذب،

و لكنهم لا يبصرون حقيقتك و ما يتوسمه المتوسمون فيك مــــــن:-

[الجمـــــال و الكمـــــال و الصــــــدق.]

خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩

هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس،

و ما ينبغي في معاملتهم،

(خُذِ ٱلۡعَفۡوَ)

*** خُذْ مَا عَفَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَ مَا أَتَوْكَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَخُذْهُ.
وَ كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ "بَرَاءَةٌ" بِفَرَائِضَ الصَّدَقَاتِ وَ تَفْصِيلِهَا،
وَ مَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ الصَّدَقَاتُ.
***أَمَرَهُ اللَّهُ بِالْعَفْوِ وَ الصَّفْحِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ عَشْرَ سِنِينَ،
ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ. وَ اخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ ابْنُ جَرِيرٍ.

❍فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي:-

ما سمحت به أنفسهم، و ما سهل عليهم من الأعمال و الأخلاق،

فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم،

بـــــــــل:-

1-يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول و فعل جميل أو ما هو دون ذلك،

2-و يتجاوز عن تقصيرهم و يغض طرفه عن نقصهم،

3-و لا يتكبر على الصغير لصغره،و لا ناقص العقل لنقصه،و لا الفقير لفقره،

4-بل يعامل الجميع باللطف و المقابلة بمـــــا :-

تقتضيه الحال و تنشرح له صدورهم.

***صحيح البخاري
4643 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، {خُذِ العَفْوَ} [الأعراف: 199]
وَ أْمُرْ بِالعُرْفِ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فِي أَخْلاَقِ النَّاسِ»،

(وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ)

أي: بكل قول حسن و فعل جميل، و خلق كامل للقريب و البعيد،

فاجعل ما يأتي إلى الناس منك،

إما تعليم علم،

أو حث على خير، من صلة رحم،

أو بِرِّ والدين،

أو إصلاح بين الناس،

أو نصيحة نافعة،

أو رأي مصيب،

أو معاونة على بر وتقوى،

أو زجر عن قبيح،

أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية،

*****صحيح البخاري**

4642 - عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ،
أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ
فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ،
وَ كَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ،
وَ كَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَ مُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»،
فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي،
هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ،
قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ،
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»،
فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ،

فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَ لاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ،
فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ،
فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ:
{خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ} [الأعراف: 199]،
وَ إِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ،
«وَ اللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَ كَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ»( )

(وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ)

و لما كان لا بد من أذية الجاهل،

أمر اللّه تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه و عدم مقابلته بجهله،

فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه،

و من حرمك لا تحرمه،

و من قطعك فَصِلْهُ،

و من ظلمك فاعدل فيه.

***كقوله

(النفر) الأشخاص. (يدنيهم) يقربهم إليه في مجلسه. (القراء) الذين يقرؤون القرآن ويحفظونه ويفقهونه. (ومشاورته) يشاورهم في الأمور. (كهولا) جمع كهل وهو الذي علاه الشيب وقيل هو من جاوز الثلاثين. (هم به) أن يعاقبه. وفي نسخة (هم أن يوقع به) أي العقوبة. (خذ العفو) اليسير وتلبس بالسهولة من غير تشديد. (بالعرف) المستحسن من الأفعال. (أعرض عن الجاهلين) لا تقابلهم بفعلهم. (ما جاوزها) لم يتعد العمل بها. (وقافا) أي إذا سمع آياته التزم أحكامه ووقف عندها ولم يتعدها]

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [المؤمنون:96-98]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا}

أَيْ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ {إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فُصِّلَتْ:34-36]

*** فَهَذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثُ فِي:-

"الْأَعْرَافِ" وَ "الْمُؤْمِنُونَ" وَ "حم السَّجْدَةِ"، لَا رَابِعَ لَهُنَّ،

فَإِنَّهُ تَعَالَى يُرْشِدُ فِيهِنَّ إِلَى مُعَامَلَةِ الْعَاصِي مِنَ الْإِنْسِ بِالْمَعْرُوفِ

وَ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُفُّهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّمَرُّدِ بِإِذْنِهِ تَعَالَى؛

وَ لِهَذَا قَالَ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت: ٣٤

ثُمَّ يُرْشِدُ تَعَالَى إِلَى الِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجَانِّ،

فَإِنَّهُ لَا يَكُفُّهُ عَنْكَ الْإِحْسَانُ،

وَ إِنَّمَا يُرِيدُ هَلَاكَكَ وَ دَمَارَكَ بِالْكُلِّيَّةِ، فإنه عدو مبين لك و لأبيك من قبلك.

○و أما ما ينبغي أن يعامل به العبد شياطين الإنس و الجن، فقال تعالى:

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾

(وَإِمَّا)

أي: أي وقت، و في أي حال

(يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ)

أي: تحس منه بوسوسة، و تثبيط عن الخير، أو حث على الشر، و إيعاز إليه.

***وَ إِمَّا يُغْضبَنَّك مِنَ الشَّيْطَانِ غَضَبٌ يَصُدُّكَ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَ يَحْمِلُكَ عَلَى مُجَازَاتِهِمْ

(فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ)

*** فَاسْتَجِرْ بِاللَّهِ مِنْ نَزْغِهِ

أي: التجئ و اعتصم باللّه، و احتم بحماه

(إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

***إِنَّ اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ سَمِيعٌ لِجَهْلِ الْجَاهِلِ عَلَيْكَ،
وَ الِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ نَزْغِه،
وَ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ،
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ،
عَلِيمٌ بِمَا يُذْهِبُ عَنْكَ نَزْغَ الشَّيْطَانِ،
وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ خَلْقِهِ.

(إِنَّهُۥ سَمِيعٌ) لما تقول.

(عَلِيمٌ) بنيتك و ضعفك، و قوة التجائك له، فسيحميك من فتنته،

و يقيك من وسوسته،

كما قال تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) إلى آخر السورة.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ)

و لما كان العبد لا بد أن يغفل و ينال منه الشيطان،

الذي لا يزال مرابطا ينتظر غرته و غفلته،

ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين،

و أن المتقي إذا أحس بذنب، و مسه طائف من الشيطان،

فـــــــــــــــ:-

1-أذنـــــــب بفعل محرم

2-أو تــــــرك واجب -

(تَذَكَّرُواْ)

تذكر من أي باب أُتِيَ،

و من أي مدخل دخل الشيطان عليه،

و تذكر ما أوجب اللّه عليه، و ما عليه من لوازم الإيمان،

(فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)

فأبصر و استغفر اللّه تعالى،

و استدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح و الحسنات الكثيرة،

فرد شيطانه خاسئا حسيرا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه.

*** قُلْتُ:وَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ الِاسْتِعَاذَةِ حَدِيثُ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ تَسَابَّا بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ:-

*** صحيح البخاري

6115 - عَنْ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ،

قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺوَ نَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ،

وَ أَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ، مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ،

لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلاَ تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ ؟

قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ

***وَ أَصْلُ "النَّزْغِ": الْفَسَادُ، إِمَّا بِالْغَضَبِ أَوْ غَيْرِهِ، .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزغُ بَيْنَهُمْ}[الْإِسْرَاءِ:53]

وَ"الْعِيَاذُ": الِالْتِجَاءُ وَ الِاسْتِنَادُ وَ الِاسْتِجَارَةُ مِنَ الشَّرِّ

(وَإِخْوَانُهُمْ)

***أي وَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْإِنْسِ، كَقَوْلِهِ:

{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ} [الْإِسْرَاءِ:27]

وَ هُمْ أَتْبَاعُهُمْ وَ الْمُسْتَمِعُونَ لَهُمُ الْقَابِلُونَ لِأَوَامِرِهِمْ

❍و أما إخوان الشياطين و أولياؤهم،

(يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ)

فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغي ذنبا بعد ذنب،

و لا يقصرون عن ذلك،

فالشياطين لا تقصر عنهم بالإغواء،

لأنها طمعت فيهم، حين رأتهم سلسي القياد لها،

***تُسَاعِدُهُمُ الشَّيَاطِينُ عَلَى فِعْلِ الْمَعَاصِي،وَ تُسَهِّلُهَا عَلَيْهِمْ و تحسنها لهم.

(ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ)

و هم لا يقصرون عن فعل الشر.

***مَعْنَاهُ إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَمُدُّ، وَ الْإِنْسَ لَا تُقْصِرُ فِي أَعْمَالِهِمْ بِذَلِكَ.

كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابن عباس فِي قَوْلِهِ:

{وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ}

قَالَ: لَا الْإِنْسُ يُقْصِرُونَ عَمَّا يَعْمَلُونَ مِنَ السَّيِّئَاتِ،

وَ لَا الشَّيَاطِينُ تُمْسِكُ عَنْهُمْ.

*** إِنَّ الشَّيَاطِينَ يَمُدُّونَ أَوْلِيَاءَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَ لَا تَسْأَمُ مِنْ إِمْدَادِهِمْ فِي الشَّرِّ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ طَبِيعَةٌ لَهُمْ وسَجِيَّة، لَا تَفْتُرُ فِيهِ وَ لَا تَبْطُلُ عَنْهُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} [مَرْيَمَ:83] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ غَيْرُهُ: تُزْعِجُهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي إِزْعَاجًا.

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

أي لا يزال هؤلاء المكذبون لك في تعنت و عناد،

و لو جاءتهم الآيات الدالة على الهدى و الرشاد،

فإذا جئتهم بشيء من الآيات الدالة على صدقك لم ينقادوا.

(وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ)

من آيات الاقتراح التي يعينونها

***كقوله ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ الشعراء: ٤

*** يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ:

أَلَا تُجْهِدُ نَفْسَكَ فِي طَلَبِ الْآيَاتِ مِنَ اللَّهِ حَتَّى نَرَاهَا وَ نُؤْمِنَ بِهَا،

(قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ)

أي: هلا اخترت الآية، فصارت الآية الفلانية، أو المعجزة الفلانية

كأنك أنت المنزل للآيات، المدبر لجميع المخلوقات،

و لم يعلموا أنه ليس لك من الأمر شيء،

أو أن المعنى:– لولا اخترعتها من نفسك.

*** قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: (قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ)

أَيْ: أَنَا لَا أَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي شَيْءٍ،

وَ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا أَمَرَنِي بِهِ فَأَمْتَثِلُ مَا يُوحِيهِ إِلَيَّ،
فَإِنْ بَعَثَ آيَةً قَبِلْتُهَا، وَ إِنَّ مَنَعَهَا لَمْ أَسْأَلْهُ ابْتِدَاءً إِيَّاهَا؛
إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.
ثُمَّ أَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ أَعْظَمُ الْمُعْجِزَاتِ، وَ أَبْيَنُ الدَّلَالَاتِ،
وَ أَصْدَقُ الْحُجَجِ وَ الْبَيِّنَاتِ،

فَقَالَ: {هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}

فأنا عبد متبع مدبَّر،

و اللّه تعالى هو الذي ينزل الآيات و يرسلها على حسب ما اقتضاه حمده،

و طلبتْه حكمته البالغة،

فإن أردتم آية لا تضمحل على تعاقب الأوقات،

و حجة لا تبطل في جميع الآنات،

ف (هَٰذَا) القرآن العظيم، و الذكر الحكيم

(بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ)

يستبصر به في جميع المطالب الإلهية و المقاصد الإنسانية،

و هو الدليل و المدلول

فمن تفكر فيه و تدبره، علم أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،

و به قامت الحجة على كل من بلغه،

و لكن أكثر الناس لا يؤمنون، و إلا فمن آمن،

﴿وَهُدًى ﴾

له من الضلال

﴿وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

له من الشقاء،

فـــــالمؤمن مهتد بالقرآن، متبع له، سعيد في دنياه و أخراه.

و أما من لم يؤمن به، فإنه ضال شقي، في الدنيا و الآخرة.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب اللّه يتلى،

فإنه مأمور بالاستماع له و الإنصات،

و الفرق بين الاستماع و الإنصات،

أن الإنصات:-

في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

و أما الاستماع له:-

فهو أن يلقي سمعه، و يحضر قلبه و يتدبر ما يستمع،

فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب اللّه،

فإنه ينال خيرا كثيرا و علما غزيرا،

و إيمانا مستمرا متجددا،

و هدى متزايدا،

و بصيرة في دينه،

و لهذا رتب اللّه حصول الرحمة عليهما،

فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب،

فلم يستمع له و ينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير.

و من أوكد ما يؤمر به مستمع القرآن، أن يستمع له و ينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه، فإنه مأمور بالإنصات،

حتى إن أكثر العلماء يقولون:-

إن اشتغاله بالإنصات، أولى من قراءته الفاتحة، و غيرها.

***** لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ الْقُرْآنَ بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ،**
أَمَرَ تَعَالَى بِالْإِنْصَاتِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ إِعْظَامًا لَهُ وَ احْتِرَامًا،
لَا كَمَا كَانَ يَعْتَمِدُهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ الْمُشْرِكُونَ
فِي قَوْلِهِمْ: {لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }[فُصِّلَتْ:26]
وَ لَكِنْ يَتَأَكَّدُ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ إِذَا جَهَرَ الْإِمَامُ بِالْقِرَاءَةِ
*****قُلْتُ: هَذَا مَذْهَبُ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ:-**
أَنَّ الْمَأْمُومَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ قِرَاءَةٌ فِيمَا جَهَرَ فِيهِ الْإِمَامُ لَا الْفَاتِحَةُ وَ لَا غَيْرُهَا.
*****وَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ :-**
قَوْلُهُ: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا} يَعْنِي:-
فِي الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ.
***** عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزَ قَالَ:-**
رَأَيْتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ وَ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ يَتَحَدَّثَانِ، وَ الْقَاصُّ يَقُصُّ،

فَقُلْتُ: أَلَا تَسْتَمِعَانِ إِلَى الذِّكْرِ وَ تَسْتَوْجِبَانِ الْمَوْعُودَ؟
قَالَ: فَنظَرَا إِلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَا عَلَى حَدِيثِهِمَا. قَالَ:-
فَأَعَدْتُ فَنظَرَا إِلَيَّ، وَ أَقْبَلَا عَلَى حَدِيثِهِمَا.
قَالَ: فَأَعَدْتُ الثَّالِثَةَ،
قَالَ: فَنَظَرَا إِلَيَّ فَقَالَا إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ:
{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا}

وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

*** أَمْرُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَ آخِرَهُ، كَمَا أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ فِي هَذَيْنَ الْوَقْتَيْنِ فِي قَوْلِهِ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} [ق:39]
وَ قَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ،
وَ هَذِهِ الْآيَةُ مَكِّيَّةٌ.

(وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ)

الذكر للّه تعالى يكون بالقلب، و يكون باللسان، و يكون بهما،

و هو أكمل أنواع الذكر و أحواله،

فأمر اللّه عبده و رسوله محمدا أصلا و غيره تبعا، بذكر ربه في نفسه،

أي: مخلصا خاليا.

(تَضَرُّعًا)

أي: متضرعا بلسانك، مكررا لأنواع الذكر،

(وَخِيفَةً)

في قلبك بأن تكون خائفا من اللّه، وَجِلَ القلب منه،

خوفا أن يكون عملك غير مقبول،

و علامة الخوف أن يسعى و يجتهد في تكميل العمل و إصلاحه،و النصح به.

(وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ)

أي: كن متوسطا، لا تجهر بصلاتك، و لا تخافت بها،و ابتغ بين ذلك سبيلا.

***صحيح مسلم

(2704) عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺفِي سَفَرٍ،
فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،
إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَ لَا غَائِبًا،
إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَ هُوَ مَعَكُمْ»
قَالَ وَ أَنَا خَلْفَهُ، وَ أَنَا أَقُولُ:-
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ،
فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ:
أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ،
فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: " قُلْ: لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ "( )

(اربعوا) معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولا غائب بل هو سميع قريب]

***وَ قَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
{وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا} [الْإِسْرَاءِ:110]
فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ سَبُّوهُ، وَ سَبُّوا مَنْ أَنْزَلَهُ،
وَ سَبُّوا مَنْ جَاءَ بِهِ؛
فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَلَّا يَجْهَرَ بِهِ، لِئَلَّا يَنَالَ مِنْهُ الْمُشْرِكُونَ،
وَ لَا يُخَافِتَ بِهِ عَنْ أَصْحَابِهِ فَلَا يُسْمِعُهُمْ،
وَ لْيَتَّخِذْ سَبِيلًا بَيْنَ الْجَهْرِ وَ الْإِسْرَارِ.
وَ كَذَا قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:
{وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}

(بِٱلۡغُدُوِّ)

أول النهار

(وَٱلۡأٓصَالِ)

***جمع أصيل

آخره، و هذان الوقتان لذكر الله فيهما مزية و فضيلة على غيرهما.

***وَ هَكَذَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ لَا يَكُونُ نِدَاءً وَ لَا جَهْرًا بَلِيغًا؛

(وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ)

الذين نسوا اللّه فأنساهم أنفسهم،

فإنهم حرموا خير الدنيا و الآخرة،

و أعرضوا عمن كل السعادة و الفوز في ذكره و عبوديته،

و أقبلوا على من كل الشقاوة و الخيبة في الاشتغال به،

و هذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها،

و هي الإكثار من ذكر اللّه آناء الليل و النهار،

خصوصا طَرَفَيِ النهار،

مخلصا خاشعا متضرعا،

متذللا ساكنا،

و تواطئا عليه قلبه و لسانه، بـــــــــــ:–

1–أدب و وقار،

2–و إقبال على الدعاء و الذكر،

3–و إحضار له بقلبه و عدم غفلة،

فإن اللّه لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه.

ثم ذكر تعالى أن له عبادا مستديمين لعبادته،

ملازمين لخدمته و هم الملائكة،

فلتعلموا أن اللّه لا يريد أن يتكثر بعبادتكم من قلة، و لا ليتعزز بها من ذلة،

و إنما يريد نفع أنفسكم، و أن تربحوا عليه أضعاف ما عملتم، فقال:

(إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩)

(إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ)

من الملائكة المقربين، و حملة العرش و الكروبيين.

(لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ)

بل يذعنون لها و ينقادون لأوامر ربهم

(وَيُسَبِّحُونَهُۥ)

الليل و النهار لا يفترون.

(وَلَهُۥ) وحده لا شريك له

(يَسْجُدُونَ ۩)

فليقتد العباد بهؤلاء الملائكة الكرام، و ليداوموا على عبادة الملك العلام.

***صحيح مسلم

(430) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ:

خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺفَقَالَ:

«مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟

اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ»

قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا

فَقَالَ: «مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ»

قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا

فَقَالَ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»

فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَ كَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟

قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَ يَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»( )

(شمس) جمع شموس مثل رسول ورسل وهي التي لا تستقر بل تضرب وتتحرك بأذنابها وأرجلها (حلقا) جمع الحلقة بسكون اللام على غير قياس وقال النووي بكسر الحاء وفتحها

***وَ هَذِهِ أَوَّلُ سَجْدَةٍ فِي الْقُرْآنِ،
مِمَّا يُشْرَعُ لِتَالِيهَا وَمُسْتَمِعِهَا السُّجُودُ بِالْإِجْمَاعِ.

تم تفسير سورة الأعراف

و للّٰه الحمد و الشكر و الثناء.

و صلى اللّه على محمد و آله و صحبه و سلم.

لغتان جمع حلقة بإسكان اللام (عزين) أي جماعات في تفرقة جمع عزة وأصلها عزوة فحذفت الواو وجمعت جمع السلامة على غير قياس]

8-تفسير سورة الأنفال-مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ
وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ
وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ
لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ
بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ
كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾
لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ
وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ

وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾

❍ سنن الترمذي ت شاكر

3079 عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:-

لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ جِئْتُ بِسَيْفٍ، فَقُلْتُ:-

يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَفَى صَدْرِي مِنَ المُشْرِكِينَ

–أَوْ نَحوَ هَذَا - هَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ

فَقَالَ: «هَذَا لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ»

فَقُلْتُ: عَسَى أَنْ يُعْطَى هَذَا مَنْ لَا يُبْلِي بَلَائِي،

فَجَاءَنِي الرَّسُولُ فَقَالَ:-

«إِنَّكَ سَأَلْتَنِي وَلَيسَ لِي، وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي وَهُوَ لَكَ»، قَالَ:

فَنَزَلَتْ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ} [الأنفال:1] الآيَةَ

–الأنفـــــال هي:–

الغنـــــائم التي ينفلها اللّه لهذه الأمة من أموال الكفار،

و كانت هذه الآيات في هذه السورة

قد نزلت في قصة (بدر) أول غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين، .

فحصل بين بعض المسلمين فيها نزاع،

فسألوا رسول اللّه ﷺ عنها،

فأنزل اللّه ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾

كيف تقسم و على من تقسم؟

﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾

يضعانها حيث شاءا، فلا اعتراض لكم على حكم اللّه و رسوله،.

بل عليكم إذا حكم اللّه و رسوله أن ترضوا بحكمهما، و تسلموا الأمر لهما،.

و ذلك داخل في قوله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾

بامتثال أوامره و اجتناب نواهيه..

﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾

أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن و التقاطع و التدابر، بــــــــ:-

التــــــوادد و التحــــــاب و التواصـــــــل.

فبذلك تجتمع كلمتكم، و يزول ما يحصل - بسبب التقاطع - من التخاصم،

و التشاجر و التنازع.

و يـــــــدخل في إصــــــلاح ذات البيـــــن:-

1-تحسيــــــن الخلق لهم،

2-و العفــــــو عن المسيئين منهم

فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء و التدابر،.

و الأمر الجامع لذلك كله قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

فإن الإيمان يدعو إلى طاعة اللّه و رسوله،

كما أن من لم يطع اللّه و رسوله فليس بمؤمن.

و من نقصت طاعته للّه و رسوله، فذلك لنقص إيمانه،

و لما كان الإيمـــــان قسميـــــن:-

1-إيمـــــانا كاملا يترتب عليه المدح و الثناء، و الفوز التام،

2-و إيمـــــانا دون ذلك ذكر الإيمان الكامل

فقال: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ)

الألف و اللام للاستغراق لشرائع الإيمان.

(ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)

أي: خافت و رهبت، فأوجبت لهم خشية اللّه تعالى الانكفاف عن المحارم،

فإن خوف اللّه تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب.

(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا)

***وَ قَدِ اسْتَدَلَّ الْبُخَارِيُّ وَ غَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَ أَشْبَاهِهَا، عَلَى:-
زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَ تَفَاضُلِهِ فِي الْقُلُوبِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْأُمَّةِ،

و وجه ذلك أنهم يلقون له السمع و يحضرون قلوبهم لتدبره

فعند ذلك يزيد إيمانهم،

لأن التدبر من أعمال القلوب،

و لأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه،

أو يتذكرون ما كانوا نسوه،

أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، و اشتياقا إلى كرامة ربهم،

أو وجلا من العقوبات، و ازدجارا عن المعاصي،

و كل هذا مما يزداد به الإيمان.

(وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ)

وحده لا شريك له

(يَتَوَكَّلُونَ)

أي: يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم

و دفع مضارهم الدينية و الدنيوية،

و يثقون بأن اللّه تعالى سيفعل ذلك.

و التوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد و لا تكمل إلا به.

(ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ)

من فرائض و نوافل، بأعمالها الظاهرة و الباطنة، كـــــــــــ:-

حضــــــور القلب فيها، الذي هو روح الصلاة و لبهـــــا.

(وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ)

النفقــــــات الواجبــــــة، كــــــ:-

1-الزكـــــوات،

2–و الكفـــــارات،

3–و النفقـــــة على الزوجات و الأقـــــارب،و ما ملكت أيمانهم،.

و المستحبـــــة كـــــــــ:–

الصدقة في جميع طرق الخير.

(أُوْلَٰٓئِكَ)

الذين اتصفوا بتلك الصفات

(هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ)

لأنهم جمعوا بين الإسلام و الإيمان،

بين الأعمال الباطنة و الأعمال الظاهرة،

بين العلم و العمل،

بين أداء حقوق اللّه و حقوق عباده.

و قدم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح و أفضل منها،

و فيها دليل على أن الإيمان، يزيد و ينقص،

فيزيد بفعل الطاعة و ينقص بضدها.

و أنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه و ينميه،.

و أن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب اللّه تعالى و التأمل لمعانيه.

ثم ذكر ثواب المؤمنين حقا فقال:

(لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ)

أي: عالية بحسب علو أعمالهم.

(وَمَغۡفِرَةٞ) لذنوبهم

(وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ)

و هو ما أعد اللّه لهم في دار كرامته، مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر.

و دل هذا على أن من يصل إلى درجتهم في الإيمان – و إن دخل الجنة – فلن ينال ما نالوا من كرامة اللّه التامة.

*** صحيح البخاري

3256 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
«إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ،
كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ،
لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ،
قَالَ: «بَلَى وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ صَدَّقُوا المُرْسَلِينَ»( )

كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥

يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦

(يتراءون) يرون وينظرون ويتكلفون لذلك. (أهل الغرف) أصحاب المنازل العالية والغرف جمع غرفة وهي العلية. (الغابر) الذاهب أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر. (الأفق) أطراف السماء. (لتفاضل ما بينهم) لبعد منازل أهل الغرف وعلو درجاتهم عن باقي أهل الجنة]

وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾

***وَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: كَمَا أَنَّكُمْ :-
لَمَّا اخْتَلَفْتُمْ فِي الْمَغَانِمِ وَ تَشَاحَحْتُمْ فِيهَا فَانْتَزَعَهَا اللَّهُ مِنْكُمْ،
وَ جَعَلَهَا إِلَى قَسْمِهِ وَ قَسْمِ رَسُولِهِ ﷺ فَقَسَّمَهَا عَلَى الْعَدْلِ وَ التَّسْوِيَةِ،
فَكَانَ هَذَا هُوَ الْمَصْلَحَةَ التَّامَّةَ لَكُمْ،
وَ كَذَلِكَ لَمَّا كَرِهْتُمُ الْخُرُوجَ إِلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ قتال ذات الشوكة
-و هم النَّفِيرُ الَّذِينَ خَرَجُوا لِنَصْرِ دِينِهِمْ، وَ إِحْرَازِ عِيرِهِمْ -
فَكَانَ عَاقِبَةُ، كَرَاهَتِكُمْ لِلْقِتَالِ -بِأَنْ قدَّره لَكُمْ،
و جَمَعَ بِهِ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ عَدُوِّكُمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ-رَشَدًا وَ هُدًى،وَ نَصْرًا وَ فَتْحًا
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الْبَقَرَةِ: 216]

❍قدم تعالى – أمام هذه الغزوة الكبرى المباركة – الصفات التي على المؤمنين أن يقوموا بها،

لأن من قام بها استقامت أحواله و صلحت أعماله،

التي من أكبرها الجهاد في سبيله.

❍فكما أن إيمانهم هو الإيمان الحقيقي،

و جزاءهم هو الحق الذي وعدهم اللّه به،

(كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ)

كذلك أخرج اللّه رسولهﷺمن بيته إلى لقاء المشركين في (بدر)

(بِٱلۡحَقِّ)الذي يحبه اللّه تعالى، و قد قدره و قضاه.

(وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ)

***الميسر:و ذلك بالوحي الذي أتاك به جبريل مع كراهة فريق من المؤمنين للخروج.**

❍و إن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم و بين عدوهم قتال.

فحين تبين لهم أن ذلك واقع،

(يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ)

***الميسر : أن ذلك واقع**

جعل فريق من المؤمنين يجادلون النبيﷺفي ذلك، و يكرهون لقاء عدوهم،

*****كَرَاهِيَةً لِلِقَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَ إِنْكَارًا لِمَسِيرِ قُرَيْشٍ حِينَ ذُكِرُوا لَهُمْ.**

(كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ)

(وَهُمۡ يَنظُرُونَ)

*الميسر:إليه عِيانًا.

و الحال أن هذا لا ينبغي منهم، خصوصا بعد ما تبين لهم أن خروجهم بالحق، و مما أمر اللّه به و رضيه،.

فبهذه الحال ليس للجدال محل فيها لأن الجدال محله و فائدته عند اشتباه الحق و التباس الأمر،.

فأما إذا وضح و بان، فليس إلا الانقياد و الإذعان.

هذا و كثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء،

و لا كرهوا لقاء عدوهم،

و كذلك الذين عاتبهم اللّه، انقادوا للجهاد أشد الانقياد، و ثبتهم اللّه،

و قيض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم كما سيأتي ذكر بعضها.

و كان أصل خروجهم يتعرضون لعير خرجت مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشام، قافلة كبيرة

فلما سمعوا برجوعها من الشام، ندب النبي ﷺالناس،

فخرج معه ثلاثمائة، و بضعة عشر رجلا معهم سبعون بعيرا، يعتقبون عليها،

و حملون عليها متاعهم،.فسمعت بخبرهم قريش،

فخرجوا لمنع عيرهم،في عَدَدٍ كثير و عُدَّةٍ وافرة من السلاح و الخيل و الرجال يبلغ عددهم قريبا من الألف.

(وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ)

فوعد اللّه المؤمنين إحدى الطائفتين،

إما أن يظفروا بالعير، أو بالنفير،

(وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ)

فأحبوا العير لقلة ذات يد المسلمين،

و لأنها غير ذات شوكة،

و لكن اللّه تعالى أحب لهم و أراد أمرا أعلى مما أحبوا.

أراد أن يظفروا بالنفير الذي خرج فيه كبراء المشركين و صناديدهم،

(وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ)

فينصر أهله

*** هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَهَا الشَّوْكَةُ وَ الْقِتَالُ،
لِيُظَفِّرَكم بِهِمْ وَ يُظْهِرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَ يُظْهِرَ دِينَهُ،
وَ يَرْفَعَ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ،
وَ يَجْعَلَهُ غَالِبًا عَلَى الْأَدْيَانِ،
وَ هُوَ أَعْلَمُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَ هُوَ الَّذِي دبركم

(وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

أي: يستأصل أهل الباطل،

و يُرِيَ عباده من نصره للحق أمرا لم يكن يخطر ببالهم.

(لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ)

بما يظهر من الشواهد و البراهين على صحته و صدقه،

(وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ)

بما يقيم من الأدلة و الشواهد على بطلانه

(وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ)

فلا يبالي اللّه بهم.

*** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاس -كُلٌّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْض هَذَا الْحَدِيثِ، فَاجْتَمَعَ حَدِيثُهُمْ فِيمَا سُقْتُ مِنْ حَدِيثِ بَدْرٍ -قَالُوا:-

لَمَّا سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺبِأَبِي سُفْيَانَ مُقْبِلًا مِنَ الشَّام نَدب الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ، وَ قَالَ: "هَذِهِ عيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُنْفلكُموها" فَانْتَدَبَ الناسُ،

فَخَفَّ بَعْضُهُمْ وَ ثَقُلَ بَعْضُهُمْ،

وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَلْقَى حَرْبًا،

وَ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَدِ اسْتَنْفَرَ حِينَ دَنَا مِنَ الْحِجَازِ يَتَجَسَّسُ الْأَخْبَارَ،

وَ يَسْأَلُ مَنْ لَقِيَ مَن الرُّكْبَانِ، تَخَوُّفًا عَلَى أَمْرِ النَّاسِ،

حَتَّى أَصَابَ خَبَرًا مِنْ بَعْض الرُّكْبَانِ:-

أَنَّ مُحَمَّدًا قَدِ اسْتَنْفَرَ أَصْحَابَهُ لَكَ وَ لِعِيرِكَ، فَحَذِرَ عِنْدَ ذَلِكَ،

فَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَم بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِيَّ، فَبَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ،

وَ أَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ قُرَيْشًا فَيَسْتَنْفِرَهُمْ إِلَى أَمْوَالِهِمْ،

وَ يُخْبِرَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ عَرَضَ لَهَا فِي أَصْحَابِهِ،
فَخَرَجَ ضَمْضَمُ بْنُ عَمْرٍو سَرِيعًا إِلَى مَكَّةَ،
وَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺفِي أَصْحَابِهِ حَتَّى بَلَغَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ "ذَفرَان"،
فَخَرَجَ مِنْهُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِهِ نَزَلَ،
وَ أَتَاهُ الْخَبَرُ عَنْ قُرَيش بِمَسِيرِهِمْ لِيَمْنَعُوا عِيرَهُمْ فَاسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺالنَّاسَ،
وَ أَخْبَرَهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
فَقَالَ فَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ فَأَحْسَنَ،
ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: -
يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ، فَنَحْنُ مَعَكَ،
وَ اللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى:
{فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [الْمَائِدَةِ: 24]
وَ لَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ،
فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى "بَرْك الغِماد" -يَعْنِي مَدِينَةَ الْحَبَشَةِ -
لَجَالَدْنَا مَعَكَ مَنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ،
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺخَيْرًا، وَ دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ،
ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ" -وَ إِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ –
وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَدد النَّاسِ،
وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ قَالُوا: -
يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا بُرَآءُ مِنْ ذِمَامك حَتَّى تَصِلَ إِلَى دَارِنَا،
فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا فَأَنْتَ فِي ذممنا نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَ نِسَاءَنَا،
فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَتَخَوَّفُ أَلَّا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نُصْرَتَهُ إِلَّا مِمَّنْ
دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ، مِنْ عَدُوِّهِ،
وَ أَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ بِلَادِهِمْ،

فَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ، قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ:-
وَ اللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: "أَجَلْ" قَالَ: فَقَالَ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ، وَ صَدَّقْنَاكَ،
وَ شَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ،
وَ أَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَ مَوَاثِيقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَ الطَّاعَةِ،
فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ.
فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ،
مَا يَتَخَلَّفُ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَ مَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا،
إِنَّا لصُبُرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُق عِنْدَ اللِّقَاءِ،
وَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُرِيَكَ مِنَّا مَا تَقَرّ بِهِ عَيْنُكَ،
فسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ.
فسُرّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْد، و نَشَّطه ذَلِكَ،
ثُمَّ قَالَ: " سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَ أَبْشِرُوا،
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ،
وَ اللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ"

إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ
٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ
وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ
سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ
كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ١٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ
ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ
فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦

إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ
٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ

ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾

ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾

***صحيح مسلم

(1763) عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: -

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ:-

لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِلَى الْمُشْرِكِينَ وَ هُمْ أَلْفٌ،

وَ أَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا،

فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺالْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ:

«اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي،

اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»،

فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ،

حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ،

فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ،

ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ،

فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: 9]
فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ:-
بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ،
إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَ صَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ:-
أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا،
فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَ شُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ
فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ،
فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ
ﷺفَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»،
فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَ أَسَرُوا سَبْعِينَ،
قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى،
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺلِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ:-
«مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟»
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَ الْعَشِيرَةِ،
أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ،
فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ،
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟»
قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ،
وَ لَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ،
فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ،
وَ تُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ،

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَ صَنَادِيدُهَا،
فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَ لَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ،
فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺوَ أَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ،
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَ صَاحِبُكَ؟
فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَ إِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا،
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-
أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ،
لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال: 67] إِلَى قَوْلِهِ {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: 69]
فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ( )

(لما كان يوم بدر) اعلم أن بدرا هو موضع الغزوة العظمى المشهورة وهو ماء معروف وقرية عامرة على نحو أربع مراحل من المدينة بينها وبين مكة قال ابن قتيبة بدر بئر كانت لرجل يسمى بدرا فسميت باسمه وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان في السنة الثانية للهجرة
(فجعل يهتف بربه) معناه يصيح وستغيث بالله في الدعاء
(أن تهلك) ضبطوا تهلك بفتح الهاء وضمها فعلى الأول ترفع العصابة لأنها فاعل وعلى الثاني تنصب وتكون مفعوله
(العصابة) الجماعة
(كذاك مناشدتك ربك) المناشدة السؤال مأخوذة من النشيد وهو رفع الصوت هكذا وقع لجماهير رواة مسلم كذاك ولبعضهم كفاك وكل بمعنى
(مناشدتك) ضبطوها بالرفع والنصب وهو الأشهر قال القاضي من رفعه جعله فاعلا بكفاك ومن نصبه فعلى المفعول بما في كفاك وكذاك من معنى الفعل
(ممدكم) أي معينكم من الإمداد
(مردفين) متتابعين

***صحيح البخاري

3952 عن ابْنِ مَسْعُودٍ، يَقُولُ:-

شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا،

لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ

وَ هُوَ يَدْعُو عَلَى المُشْرِكِينَ،

فَقَالَ: لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى:-

اذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلاَ، وَ لَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَ عَنْ شِمَالِكَ،

وَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَ خَلْفَكَ «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺأَشْرَقَ وَجْهُهُ وَ سَرَّهُ»

يَعْنِي: قَوْلَهُ( )

***صحيح البخاري

3953 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَ وَعْدَكَ،

(أقدم حيزوم) ضبطوه بوجهين أصحهما وأشهرهما لم يذكر ابن دريد وكثيرون أو الأكثرون غيره أنه بهمزة قطع مفتوحة وبكسر الدال من الإقدام قالوا وهي كلمة زجر للفرس معلومة في كلامهم والثاني بضم الدال وبهمزة وصل مضمومة من التقدم وحيزوم اسم فرس الملك وهو منادى بحذف حرف النداء أي يا حيزوم

(فإذا هو قد خطم أنفه) الخطم الأثر على الأنف

(وصناديدها) يعني أشرافها الواحد صنديد والضمير في صناديدها يعود على أئمة الكفر أو مكة

(فهوى) أي أحب ذلك واستحسنه يقال هوى الشيء يهوي هوى والهوى المحبة

(ولم يهو ما قلت) هكذا هو في بعض النسخ ولم يهو وفي كثير منها ولم يهوي بالياء وهي لغة قليلة بإثبات الياء مع الجازم ومنه قراءة من قرأ إنه من يتقي ويصبر بالياء ومنه قول الشاعر ألم يأتيك والأنباء تنمي

(حتى يثخن في الأرض) أي يكثر القتل والقهر في العدو]

(صاحبه) صاحب ذلك المشهد. (عدل به) من كل شيء يقابل به ويوزن من أمور الدنيا]

اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ،
فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَ هُوَ يَقُولُ: {سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}
[القمر: 45]

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ)

أي: اذكروا نعمة اللّه عليكم، لما قارب التقاؤكم بعدوكم، استغثتم بربكم،
و طلبتم منه أن يعينكم و ينصركم

(فَاسْتَجَابَ لَكُمْ)

و أغاثكم بعدة أمــــــور:-

منها: أن اللّه أمدكم

(بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)

أي: يردف بعضهم بعضا.

***متتابعين

***صحيح مسلم

عن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَ صَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ:-
أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا،
فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَ شُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ
فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ،
فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ:
«صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»،

فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَ أَسَرُوا سَبْعِينَ

***صحيح البخاري

3992 عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَ كَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: -

جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺفَقَالَ:

مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ،

قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا،

قَالَ:وَ كَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلاَئِكَةِ "( )

***صحيح البخاري

3007-فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟»

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ،

وَ لَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا،

وَ كَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَ أَمْوَالَهُمْ،

فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ،

أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي،

وَ مَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَ لاَ ارْتِدَادًا، وَ لاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ صَدَقَكُمْ»

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ،

قَالَ:إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا،

وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ

(أهل بدر) الذين حضروا غزوة بدر. (نحوها) كقوله من خيار المسلمين]

فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ "

(وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ)

أي: إنزال الملائكة

(إِلَّا بُشۡرَىٰ)

أي: لتستبشر بذلك نفوسكم،

(وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ)

***الميسر: و لتسكن به قلوبكم،**

*** وَ إِلَّا فَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى نَصْرِكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ بِدُونِ ذَلِكَ،

وَ لِهَذَا قَالَ: (وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ)

و إلا فالنصر بيد اللّه، ليس بكثرة عَدَدٍ و لا عُدَدٍ..

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} [مُحَمَّد: 4-6]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} [آلِ عِمْرَانَ: 140، 141]

فَهَذِهِ حِكَمٌ شَرَعَ اللَّهُ جِهَادَ الْكُفَّارِ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ لِأَجْلِهَا،

وَ قَدْ كَانَ تَعَالَى إِنَّمَا يُعَاقِبُ الْأُمَمَ السَّالِفَةَ الْمُكَذِّبَةَ لِلْأَنْبِيَاءِ بِالْقَوَارِعِ الَّتِي تَعُمُّ تِلْكَ الْأُمَّةَ الْمُكَذِّبَةَ:-

كَمَا أَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ بِالطُّوفَانِ،

وَ عَادًا الْأُولَى بالدَّبُور،

وَ ثَمُودَ بِالصَّيْحَةِ،

وَ قَوْمَ لُوطٍ بِالْخَسْفِ وَ الْقَلْبِ وَ حِجَارَةِ السِّجِّيلِ

وَ قَوْمَ شُعَيْبٍ بِيَوْمِ الظُّلَّةِ،

فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَهْلَكَ عَدُوَّهُ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمَهُ بِالْغَرَقِ فِي الْيَمِّ،

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى التَّوْرَاةَ، شَرَعَ فِيهَا قِتَالَ الْكُفَّارِ،

وَ اسْتَمَرَّ الْحُكْمُ فِي بَقِيَّةِ الشَّرَائِعِ بَعْدَهُ عَلَى ذَلِكَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى بَصَائِرَ [لِلنَّاسِ] } [الْقَصَصِ: 43]

وَ قَتْلُ الْمُؤْمِنِينَ الْكَافِرِينَ أَشَدُّ إِهَانَةً لِلْكَافِرِينَ، وَأَشْفَى لِصُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ:

{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ } [التَّوْبَةِ: 14، 15]

(إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ)

***لَهُ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِمَا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ} [غَافِرِ: 51، 52]

❍لا يغالبه مغالب، بل هو القهار،

الذي يخذل من بلغوا من الكثرة و قوة العدد و الآلات ما بلغوا.

(حَكِيمٌ)

حيث قدر الأمور بأسبابها، و وضع الأشياء مواضعها.

***فِيمَا شَرَعَهُ مِنْ قِتَالِ الْكُفَّارِ، مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى دَمَارِهِمْ وَ إِهْلَاكِهِمْ، بِحَوْلِهِ وَ قُوَّتِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

و من نصره و استجابته لدعائكم أن أنزل عليكم نعاسا

(إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ)

*معجم اللغة العربية المعاصرة

نعَس الشّخصُ: فترت حواسُّه فقارب النّومَ

أي فيذهب ما في قلوبكم من الخوف و الوجل،

و يكون (أَمَنَةً مِّنْهُ)

لكم و علامة على النصر و الطمأنينة.

***الميسر:أمانًا منه لكم من خوف عدوكم أن يغلبكم

***كقوله﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ

عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ

وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾آل عمران: ١٥٤

***كقوله﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾الشرح: ٥ - ٦

(وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ)

و من **ذلك**:أنه أنزل عليكم من السماء مطرا ليطهركم به من الحدث و الخبث،

*** مِنْ حَدَثٍ أَصْغَرَ أَوْ أَكْبَرَ، وَ هُوَ تَطْهِيرُ الظَّاهِرِ

(وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ)

و ليطهركم به من وساوس الشيطان و رجزه.

*** أَوْ خَاطِرٍ سَيِّئٍ

***وَ هُوَ تَطْهِيرُ الْبَاطِنِ

***كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ:

{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ}

فَهَذَا زِينَةُ الظَّاهِرِ

{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا} [الْإِنْسَانِ: 21]

أَيْ: مُطَهِّرًا لِمَا كَانَ مِنْ غِلٍّ أَوْ حَسَدٍ أَوْ تَبَاغُضٍ،وَ هُوَ زِينَةُ الْبَاطِنِ وَ طَهَارَتُهُ.

(وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ)

أي: يثبتها فإن ثبات القلب، أصل ثبات البدن

***بِالصَّبْرِ وَ الْإِقْدَامِ عَلَى مُجَالَدَةِ الْأَعْدَاءِ، وَ هُوَ شَجَاعَةُ الْبَاطِنِ

(وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ)

***وَ هُوَ شَجَاعَةُ الظَّاهِرِ، و اللَّهُ أَعْلَمُ.

❍فإن الأرض كانت سهلة دهسة فلما نزل عليها المطر تلبدت،

و ثبتت به الأقدام.

***وَ هَذِهِ نِعْمَةٌ خَفِيَّةٌ أَظْهَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ، لِيَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا،
وَ هُوَ أَنَّهُ -تَعَالَى وَ تَقَدَّسَ وَ تَبَارَكَ وَ تَمَجَّدَ -
أَوْحَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ أَنْزَلَهُمْ لِنَصْرِ نَبِيِّهِ وَ دِينِهِ وَ حِزْبِهِ الْمُؤْمِنَيْنِ،
يُوحِي إِلَيْهِمْ فِيمَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمْ أَنْ يُثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا.
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَازَرُوهُمْ.
وَ قَالَ غَيْرُهُ: قَاتَلُوا مَعَهُمْ.

(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ)

و من ذلك أن اللّه أوحى إلى الملائكة

(أَنِّي مَعَكُمْ)

بالعون و النصر و التأييد،

(فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ)

أي: ألقوا في قلوبهم،و ألهموهم الجراءة على عدوهم،

و رغبوهم في الجهاد و فضله.

(سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ)

الذي هو أعظم جند لكم عليهم،

فإن اللّه إذا ثبت المؤمنين و ألقى الرعب في قلوب الكافرين،

لم يقدر الكافرون على الثبات لهم و منحهم اللّه أكتافهم.

(فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ)

أي: على الرقاب

*** اضْرِبُوا الْهَامَ فَفَلِّقُوهَا، وَ احْتَزُّوا الرِّقَابَ فَقَطِّعُوهَا،

(وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ)

أي: مفصل.

***وَ قَطِّعُوا الْأَطْرَافَ مِنْهُمْ، وَ هِيَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلِهِمْ.

و هـــــذا خطـــــاب:-

1-إما للمـــــلائكة الذين أوحى الله إليهم أن يثبتوا الذين آمنوا فيكون في ذلك دليل أنهم باشروا القتال يوم بدر،

2-أو للمؤمنيــــــن يشجعهم اللّه،

و يعلمهم كيف يقتلون المشركين،

و أنهم لا يرحمونهم،

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ)

و ذلك لأنهم شــــــاقوا الله و رسوله أي:-

حــــــاربوهما و بـــــارزوهما بالعداوة.

***خَالَفُوهُمَا فَسَارُوا فِي شَقٍّ،

وَ تَرَكُوا الشَّرْعَ وَ الْإِيمَانَ بِهِ وَ اتِّبَاعَهُ فِي شَقٍّ -

وَ هُوَ مَأْخُوذٌ أَيْضًا مِنْ شَقِّ الْعَصَا، وَ هُوَ جَعْلُهَا فِرْقَتَيْنِ

(وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ)

و من عقابه تسليط أوليائه على أعدائه و تقتيلهم.

(ذَٰلِكُمْ)

العذاب المذكور

(فَذُوقُوهُ)

أيها المشاقون للّه و رسوله عذابا معجلا.

(وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ) .

و في هذه القصة من آيات اللّه العظيمة ما يدل على أن ما جاء به محمد ﷺرسول اللّه حقـــــا:-

1- أن اللّه وعدهم وعدا، فأنجزهموه.

2-ما قال اللّه تعالى:

(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ) الآية.

3-إجابة دعوة اللّه للمؤمنين لما استغاثوه بما ذكره من الأسباب،

و فيها الاعتناء العظيم بحال عباده المؤمنين،

و تقييض الأسباب التي بها ثبت إيمانهم،

و ثبتت أقدامهم، و زال عنهم المكروه و الوساوس الشيطانية.

4–أن من لطف اللّه بعبده أن يسهل عليه طاعته،

و ييسرها بأسباب داخلية و خارجية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾

يأمر اللّه تعالى عباده المؤمنين بـــــــــــ:–

1–الشجـــــــاعة الإيمانية،

2–و القـــــوة في أمره،

3–و السعـــــي في جلب الأسباب المقوية للقلوب و الأبدان،

و نهاهـــــم عـــــن:–

الفــــرار إذا التقى الزحفان،

فقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا)

أي: في صف القتال، و تزاحف الرجال، و اقتراب بعضهم من بعض،

(فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ)

بل اثبتوا لقتالهم، و اصبروا على جلادهم، فــــإن في ذلك:–

1–نصـــــرة لدين اللّه،

2–و قـــــوة لقلوب المؤمنين،

3–و إرهابـــــا للكافرين.

[*]*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

سنن أبي داود

2648 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي يَوْمِ بَدْرٍ {وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ} [الأنفال16] "

(وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ)

***يَفِرُّ بَيْنَ يَدَيْ قِرْنِهِ مَكِيدَةً؛ لِيُرِيَهُ أَنَّهُ قَدْ خَافَ مِنْهُ فَيَتْبَعُهُ، ثُمَّ يَكِرُّ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ، فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ.

(أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ)

أي: رجع

***فَرَّ مِنْ هَاهُنَا إِلَى فِئَةٍ أُخْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ،
يُعَاوِنُهُمْ وَ يُعَاوِنُوهُ فَيَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ،
حَتَّى وَ لَوْ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَفَرَّ إِلَى أَمِيرِهِ أَوْ إِلَى الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ،
دَخَلَ فِي هَذِهِ الرُّخْصَةِ.

*** فَأَمَّا إِنْ كَانَ الْفِرَارُ لَا عَنْ سَبَبٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ،
فَإِنَّهُ حَرَامٌ وَ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ

*** صحيح البخاري

2766 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:
«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟

قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ،
وَ السِّحْرُ،
وَ قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ،
وَ أَكْلُ الرِّبَا،
وَ أَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ،
وَ التَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ،
وَ قَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ» ( )

(بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ)

أي: مقره

(جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ) .

و هذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر،

كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة

(اجتنبوا) ابتعدوا. (الموبقات) المهلكات. (السحر) هو في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه وبمعنى صرف الشيء عن وجهه ويستعمل بمعنى الخداع. والمراد هنا ما يفعله المشعوذون من تخييلات وتمويه تأخذ أبصار المشاهدين وتوهمهم الإتيان بحقيقة أو تغييرها. (بالحق) كالقتل قصاصا. (التولي يوم الزحف) الفرار عن القتال يوم ملاقاة الكفار والزحف في الأصل الجماعة الذين يزحفون إلى العدو أي يمشون إليهم بمشقة مأخوذ من زحف الصبي إذا مشى على مقعدته. (قذف) هو الاتهام والرمي بالزنا. (المحصنات) جمع محصنة وهي العفيفة التي حفظت فرجها وصانها الله من الزنا. (الغافلات) البريئات اللواتي لا يفطن إلى ما رمين به من الفجور]

و كما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد.

و مفهـــــوم الآيـــــة:-

أن المتحرف للقتال، و هو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى،
ليكون أمكن له في القتال، و أنكى لعدوه،
فإنه لا بأس بذلك، لأنه لم يول دبره فارا،
و إنما ولى دبره ليستعلي على عدوه،
أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته،
أو ليخدعه بذلك،
أو غير ذلك من مقاصد المحاربين،
و أن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار،
فإن ذلك جائز،فإن كانت الفئة في العسكر،
فالأمر في هذا واضح،
و إن كانت الفئة في غير محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدي الكافرين
و التجائهم إلى بلد من بلدان المسلمين
أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين،
فقد ورد من آثار الصحابة ما يدل على أن هذا جائز،
و لعل هذا يقيد بما إذا ظن المسلمون أن الانهزام أحمد عاقبة، و أبقى عليهم.
أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم لقتالهم،

فيبعد – في هذه الحال – أن تكون من الأحوال المرخص فيها،

لأنه – على هذا – لا يتصور الفرار المنهي عنه،

و هذه الآية مطلقة، و سيأتي في آخر السورة تقييدها بالعدد.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ

وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ

ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟

فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ

تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ

شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا

لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ

ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ

وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ

ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى – لما انهزم المشركون يوم بدر، و قتلهم المسلمون –

(فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ)

بحولكم و قوتكم

(وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ)

حيث أعانكم على ذلك بما تقدم ذكره.

(وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ)

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

المعجم الكبير للطبراني

3128 عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ:

لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخَذَ كَفًّا مِنَ الْحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَنَا بِهِ، فَرَمَانَا بِهَا،

وَ قَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» ، فَانْهَزَمْنَا،

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى} [الأنفال:17]

❍و ذلك أن النبي ﷺ وقت القتال دخل العريش و جعل يدعو اللّه،

و يناشده في نصرته،ثم خرج منه، فأخذ حفنة من تراب،

فرماها في وجوه المشركين،

فأوصلها اللّه إلى وجوههم،

فما بقي منهم واحد إلا و قد أصاب وجهه و فمه و عينيه منها،

فحينئذ انكسر حدهم، و فتر زندهم، و بان فيهم الفشل و الضعف، فانهزموا.

يقول تعالى لنبيه: لست بقوتك – حين رميت التراب – أوصلته إلى أعينهم،

و إنما أوصلناه إليهم بقوتنا و اقتدارنا. (Î)

(وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ)

أي: إن اللّه تعالى قادر على انتصار المؤمنين من الكافرين،

من دون مباشرة قتال،

و لكن اللّه أراد أن يمتحن المؤمنين،

و يوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، و أرفع المقامات،

و يعطيهم أجرا حسنا و ثوابا جزيلا.

***لِيُعَرّف الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ،

مِـــــــنْ:-

إِظْهَارِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ

مَـــــعَ:-

1- كَثْـــــرَةِ عَدُوِّهِمْ،

قال الشيخ العدوي :أورد بن كثير جملة أسانيد لا تخلو من مقال

2-وَ قِلَّـــــةِ عَدَدِهِمْ،

<u>لِـــــــــ:-</u>

1-يَعْـــــرِفُوا بِذَلِكَ حَقَّهُ،

2-وَ يَشْـكُرُوا بِذَلِكَ نِعْمَتَهُ.

(إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ)

يسمع تعالى ما أسر به العبد و ما أعلن،

(عَلِيمٌ)

يعلم ما في قلبه من النيات الصالحة و ضدها،

فيقدر على العباد أقدارا موافقة لعلمه و حكمته و مصلحة عباده،

و يجزي كلا بحسب نيته و عمله.

(ذَٰلِكُمْ)

النصر من اللّه لكم

(وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ)

أي: مضعف كل مكر و كيد يكيدون به الإسلام و أهله،

و جاعل مكرهم محيقا بهم.

***هَذِهِ بِشَارَةٌ أُخْرَى مَعَ مَا حَصَلَ مِنَ النَّصْرِ: -

أَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُضْعِفُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ، مُصَغِّرًا أَمْرَهُمْ، وَ أَنَّهُمْ كُلُّ مَا لَهُمْ فِي تَبَارٍ وَ دَمَارٍ، وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَ الْمِنَّةُ.

(إِن تَسْتَفْتِحُوا۟)

أيها المشركون، أي:–تطلبوا من اللّه أن يوقع بأسه و عذابه على المعتدين الظالمين.

*** تَسْتَنْصِرُوا وَ تَسْتَقْضُوا اللَّهَ وَ تَسْتَحْكِمُوهُ أَنْ يَفْصِلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ أَعْدَائِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ،

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

عن بن جرير:

عَنْ عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر؛ أَنّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: اللّهُمّ أَقْطَعُنَا لِلرّحِمِ وَ آتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ فَأَحِنْهِ الْغَدَاةَ - وَ كَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاحًا مِنْهُ -فَنَزَلَتْ:

{إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

(فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ)

حين أوقع اللّه بكم من عقابه، ما كان نكالا لكم و عبرة للمتقين

(وَإِن تَنتَهُواْ)

عن الاستفتاح

***عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَ التَّكْذِيبِ لِرَسُولِهِ،

(فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ)

لأنه ربما أمهلتم، و لم يعجل لكم النقمة.

(وَإِن تَعُودُواْ)

إلى الاستفتاح و قتال حزب الله المؤمنين

(نَعُدۡ)

في نصرهم عليكم.

***كقوله﴿ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ ﴾الإسراء: ٨

***وَ إِنْ عُدْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَ الضَّلَالَةِ،
نَعُدْ لَكُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ.

(وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ)

أي: أعوانكم و أنصاركم، الذين تحاربون و تقاتلون، معتمدين عليهم، شَيئا

(وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

و من كان اللّه معه فهو المنصور و إن كان ضعيفا قليلا عدده،

❍و هذه المعية التي أخبر اللّه أنه يؤيد بها المؤمنين،

تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان.

فإذا أديل العدو على المؤمنين في بعض الأوقات،

فليس ذلك إلا تفريطا من المؤمنين و عدم قيام بواجب الإيمان و مقتضاه،

و إلا فلو قاموا بما أمر اللّه به من كل وجه، لما انهزم لهم راية انهزاما مستقرا

و لا أديل عليهم عدوهم أبدا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠

وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١

لما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين، أمرهم أن يقوموا بمقتضى الإيمان الذي يدركون به معيته،

فقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ)

بامتثال أمرهما و اجتناب نهيهما.

(وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ)

أي: عن هذا الأمر الذي هو طاعة اللّه، و طاعة رسوله.

(وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ)

ما يتلى عليكم من كتاب اللّه،و أوامره،و وصاياه، و نصائحه،

فتوليكم في هذه الحال من أقبح الأحوال.

(وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ)

أي: لا تكتفوا بمجرد الدعوى الخالية التي لا حقيقة لها،

فإنها حالة لا يرضاها اللّه و لا رسوله،

فليس الإيمان بالتمني و التحلي،و لكنه ما وقر في القلوب و صدقته الأعمال.

۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى: (۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ)

من لم تفد فيهم الآيات و النذر،و هـــــم:-

(ٱلصُّمُّ) عن استماع الحق

(ٱلۡبُكۡمُ) عن النطق به.

(ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ)

ما ينفعهم، و يؤثرونه على ما يضرهم،

فهؤلاء شر عند اللّه من جميع الدواب،

لأن اللّه أعطاهم أسماعا و أبصارا و أفئدة، ليستعملوها في طاعة اللّه،

فاستعملوها في معاصيه و عُدِمُوا – بذلك – الخير الكثير،

فإنهم كانوا بصدد أن يكونوا من خيار البرية.

فأبوا هذا الطريق، و اختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شر البرية،

و السمع الذي نفاه اللّه عنهم، سمع المعنى المؤثر في القلب،

و أما سمع الحجة:–فقد قامت حجة اللّه تعالى عليهم بما سمعوه من آياته،

و إنما لم يسمعهم السماع النافع،

لأنه لم يعلم فيهم خيرا يصلحون به لسماع آياته.

(وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ)

على الفرض و التقدير

*** لَأَفْهَمَهُمْ، وَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَ لَكِنْ لَا خَيْرَ فِيهِمْ فَلَمْ يُفْهِمْهُمْ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ

(وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ)

*** أَفْهَمَهُمْ

(لَتَوَلَّوا)

عن الطاعة

*** عَنْ ذَلِكَ قَصْدًا وَ عِنَادًا بَعْدَ فَهْمِهِمْ ذَلِكَ،

(وَّهُم مُّعْرِضُونَ)

*** عَنْهُ.

❍لا التفات لهم إلى الحق بوجه من الوجوه،

و هذا دليل على أن اللّه تعالى لا يمنع الإيمان و الخير، إلا لمن لا خير فيه،

الذي لا يزكو لديه و لا يثمر عنده. و له الحمد تعالى و الحكمة في هذا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ)

***صحيح البخاري

4647 عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:-

كُنْتُ أُصَلِّي فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَدَعَانِي،

فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ،

فَقَالَ: " مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ} [الأنفال: 24]

"ثُمَّ قَالَ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ»،
فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺلِيَخْرُجَ فَذَكَرْتُ لَهُ،
وَ قَالَ مُعَاذٌ: عن أَبِي سَعِيدٍ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺبِهَذَا،
وَ قَالَ: " هِيَ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ السَّبْعُ المَثَانِي "
يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم و هـــــو:–
الاستجـــــابة للّـــــه و للرســـــول،
أي: الانقياد لما أمرا به و المبادرة إلى ذلك و الدعوة إليه،
و الاجتناب لما نهيا عنه، و الانكفاف عنه و النهي عنه.
و قوله: (إِذَا دَعَاكُمْ)
*** {لِمَا يُحْيِيكُمْ}
قيل:الحق.
قيل: هُوَ هَذَا الْقُرْآنُ،فِيهِ النَّجَاةُ وَ التُّقَاةُ وَ الْحَيَاةُ.
قيل: فَفِي الْإِسْلَامِ إِحْيَاؤُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ بِالْكُفْرِ.
***قيل:لِلْحَرْبِ الَّتِي أَعَزَّكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا بَعْدَ الذُّلِّ،
وَ قَوَّاكُمْ بِهَا بَعْدَ الضَّعْفِ، وَ مَنَعَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ بَعْدَ الْقَهْرِ مِنْهُمْ لَكُمْ.
وصف ملازم لكل ما دعا اللّه و رسوله إليه و بيان لفائدته و حكمته،
فإن حياة القلب و الروح بعبودية اللّه تعالى و لزوم طاعته و طاعة رسوله على الدوام.
ثم حذر عن عدم الاستجابة للّه و للرسول

فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾

فإياكم أن تردوا أمر اللّه أول ما يأتيكم،

فيحال بينكم و بينه إذا أردتموه بعد ذلك، و تختلف قلوبكم،

فإن اللّه يحول بين المرء و قلبه،

يقلب القلوب حيث شاء و يصرفها أنى شاء.

فليكثر العبد من قـــــول: –

يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك،

يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك.

***يَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَ بَيْنَ الْكُفْرِ، وَ بَيْنَ الْكَافِرِ وَ بَيْنَ الْإِيمَانِ.

***السنن الكبرى للنسائي

691 عن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:

«مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ،

وَ إِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ»

وَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَقُولُ:

«اللهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ،

وَ الْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَ يَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

***صحيح مسلم

(2654) عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ:-

أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

«إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ،

كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»
(وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ)
أي: تجمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازي المحسن بإحسانه،و المسيء بعصيانه.
(وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ)
*** اخْتِبَارًا وَ مِحْنَةً، يَعُمُّ بِهَا الْمُسِيءَ وَ غَيْرَهُ،
لَا يَخُصُّ بِهَا أَهْلَ الْمَعَاصِي وَ لَا مَنْ بَاشَرَ الذَّنْبَ، بَلْ يَعُمُّهُمَا،
حَيْثُ لَمْ تُدْفَعُ وَ تُرْفَعُ.
***كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مسنده ط الرسالة
1414 عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قُلْنَا لِلزُّبَيْرِ:-
يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا جَاءَ بِكُمْ ضَيَّعْتُمُ الْخَلِيفَةَ حَتَّى قُتِلَ،
ثُمَّ جِئْتُمْ تَطْلُبُونَ بِدَمِهِ؟ فَقَالَ الزُّبَيْرُ:
إِنَّا قَرَأْنَاهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺوَ أَبِي بَكْرٍ، وَ عُمَرَ، وَ عُثْمَانَ:
{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ} [الأنفال: 25]
خَاصَّةً لَمْ نَكُنْ نَحْسَبُ أَنَّا أَهْلُهَا حَتَّى وَقَعَتْ مِنَّا حَيْثُ وَقَعَتْ " (1)
*** أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يُقِرُّوا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ إِلَيْهِمْ فَيَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ.
*** صحيح البخاري
2493 عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَ الوَاقِعِ فِيهَا،
كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا،
فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ،

فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَ لَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا،
فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَ مَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا،
وَ إِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَ نَجَوْا جَمِيعًا "( )

بل تصيب فاعل الظلم و غيره،

و ذلك إذا ظهر الظلم فلم يُغَيَّرْ،

فإن عقوبته تعم الفاعل و غيره،

و تقوى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر،

و قمع أهل الشر و الفساد،

و أن لا يمكنوا من المعاصي و الظلم مهما أمكن.

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)

لمن تعرض لمساخطه، و جانب رضاه.

(القائم على حدود الله) المستقيم مع أوامر الله تعالى ولا يتجاوز ما منع الله تعالى منه والآمر بالمعروف الناهي عن المنكر. (الواقع فيها) التارك للمعروف المرتكب للمنكر. (استهموا) اقترعوا ليأخذ كل منهم سهما أي نصيبا. (أخذوا على أيديهم) منعوهم من خرق السفينة]

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ
فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ
وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ
يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآۙ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ
عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ
فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾

***قَالَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامة السَّدوسي، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
{وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرْضِ} قَالَ:-

كَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْعَرَبِ أَذَلَّ النَّاسِ ذُلا وَ أَشْقَاهُ عَيْشًا، وَ أَجْوَعَهُ بُطُونًا، وَ أَعْرَاهُ جُلُودًا، وَ أَبْيَنَهُ ضَلَالًا مَكْعُومِينَ عَلَى رَأْسِ حَجَرٍ، بَيْنَ الْأَسَدَيْنِ:-
فَارِسَ وَ الرُّومِ،
وَ لَا وَاللَّهِ مَا فِي بِلَادِهِمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ شَيْءٍ يُحْسَدُونَ عَلَيْهِ، مَنْ عَاشَ مِنْهُمْ عَاشَ شَقِيًّا،
وَ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ رُدِّيَ فِي النَّارِ، يُؤْكَلُونَ وَ لَا يَأْكُلُونَ،
وَ اللَّهِ مَا نَعْلَمُ قَبِيلا مِنْ حَاضِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ كَانُوا أَشَرَّ مَنْزِلًا مِنْهُمْ،
حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَكَّنَ بِهِ فِي الْبِلَادِ، وَ وَسَّعَ بِهِ فِي الرِّزْقِ،
وَ جَعَلَهُمْ بِهِ مُلُوكًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ.
وَ بِالْإِسْلَامِ أَعْطَى اللَّهُ مَا رَأَيْتُمْ، فَاشْكُرُوا لِلَّهِ نِعَمَهُ،
فَإِنَّ رَبَّكُمْ مُنْعِم يُحِبُّ الشُّكْرَ، وَ أَهْلُ الشُّكْرِ فِي مَزِيدٍ مِنَ اللَّهُ تَعَالَى

❍يقول تعالى ممتنا على عباده في نصرهم بعد الذلة،

و تكثيرهم بعد القلة،

و إغنائهم بعد العيلة.

(وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٌ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

أي: مقهورون تحت حكم غيركم

(تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ)

أي: يأخذونكم.

(فَـَٔاوَىٰكُمۡ)

*** الميسر :فجعل لكم مأوى تأوون إليه و هو «المدينة»**

فجعل لكم بلدا تأوون إليه،

(وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ)

و انتصر من أعدائكم على أيديكم،

*الميسر:و قوّاكم بنصره عليهم يوم «بدر»

(وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ)

و غنمتم من أموالهم ما كنتم به أغنياء.

(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

اللّه على منته العظيمة و إحسانه التام، بأن تعبدوه و لا تشركوا به شيئا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

***وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ قِصَّةُ "حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَة"

أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى قُرَيْشٍ يُعْلِمُهُمْ بِقَصْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِيَّاهُمْ عَامَ الْفَتْحِ،

فَأَطْلَعَ اللَّهُ رَسُولَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَبَعَثَ فِي إِثْرِ الْكِتَابِ فَاسْتَرْجَعَهُ،

وَ اسْتَحْضَرَ حَاطِبًا فَأَقَرَّ بِمَا صَنَعَ، فَقَامَ عمر بن الخطاب

فقال:يا رسول الله، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الْمُؤْمِنِينَ؟

فَقَالَ: " دَعْهُ، فَإِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ

فَقَالَ: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"

قُلْتُ: وَ الصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ، وَ إِنْ صَحَّ أَنَّهَا وَرَدَتْ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ،

فَالْأَخْذُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ عِنْدَ الْجَمَاهِيرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَ الْخِيَانَةُ تَعُمُّ الذُّنُوبَ الصِّغَارَ وَ الْكِبَارَ اللَّازِمَةَ وَ الْمُتَعَدِّيَةَ.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ)

الميسر:لا تخونوا الله و رسوله بترك ما أوجبه الله عليكم و فِعْل ما نهاكم عنه

(وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ)

***الميسر :و لا تفرطوا فيما ائتمنكم الله عليه،**

(وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)

أنه أمانة يجب الوفاء بها.

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يؤدوا ما ائتمنهم اللّه عليه من أوامره و نواهيه،

فإن الأمانة قد عرضها اللّه على السماوات و الأرض و الجبال،

فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا

فمـــــن أدى الأمـــــانة:-

استحـــــق من اللّه الثواب الجزيل،

و مـــــن لـــــم يؤدهـــــا بـــــل خانهـــــا:-

1-استحـــــق العقاب الوبيل، .

2-و صار خائنا للّه و للرسول و لأمانته،

3-منقصـــــا لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات، و أقبح الشيات، و هي الخيانة مفوتا لها أكمل الصفات و أتمها، و هي الأمانة.

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ)

❍و لما كان العبد ممتحنا بأمواله و أولاده،

فربما حمله محبة ذلك على تقديم هوى نفسه على أداء أمانته،

أخبر اللّه تعالى أن الأموال و الأولاد فتنة يبتلي اللّه بهما عباده،

و أنها عارية ستؤدى لمن أعطاها، و ترد لمن استودعها

(وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ)

فإن كان لكم عقل و رَأْيٌ، فآثروا فضله العظيم على لذة صغيرة فانية مضمحلة،

فالعـــــــــــاقل:-

1-يـــــوازن بين الأشياء،

2-و يـــــؤثر أولاها بالإيثار، و أحقها بالتقديم.

*** صحيح البخاري

14 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَ وَلَدِهِ»( )

(فوالذي نفسي بيده) أقسم بالله تعالى الذي حياتي بيده.
(أحب إليه) مقدما لديه وعنوان ذلك الطاعة و الاقتداء وترك المخالفة]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ)

امتثال العبد لتقوى ربه عنوان السعادة، و علامة الفلاح،

و قد رتب اللّه على التقوى من خير الدنيا و الآخرة شيئا كثيرا،

فذكر هنا أن من اتقى اللّه حصل له أربعة أشياء،

كل واحد منها خير من الدنيا و ما فيهـــــا: –

الأول: (يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا):

الفرقان: و هو العلم و الهدى الذي يفرق به صاحبه بيـــــن:–

الهـــــدى و الضـــــلال،

و الحـــــق و البـــــاطل،

و الحـــــلال و الحـــــرام،

و أهل السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني و الثالث:–

(وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ)

تكفير السيئات، و مغفرة الذنوب،

و كل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق

و عند الاجتمـــــــاع :-

يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر،

و مغفرة الذنوب بتكفير الكبائر.

الرابع:- (وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ)

الأجر العظيم و الثواب الجزيل لمن اتقاه و آثر رضاه على هوى نفسه.

***كقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ الحديد: ٢٨

وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

***المستدرك على الصحيحين للحاكم

583 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:-

دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ هِيَ تَبْكِي،

فَقَالَ: «يَا بُنَيَّةُ، مَا يُبْكِيكِ؟»

قَالَتْ: يَا أَبَتِ مَا لِي لَا أَبْكِي وَ هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْحِجْرِ يَتَعَاقَدُونَ بِاللَّاتِ وَ الْعُزَّى وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى

لَوْ قَدْ رَأَوْكَ لَقَامُوا إِلَيْكَ فَيَقْتُلُونَكَ،

وَ لَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ،

فَقَالَ: «يَا بُنَيَّةُ، ائْتِنِي بِوَضُوءٍ»

فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: -

هَا هُوَ ذَا فَطَأْطَئُوا رُءُوسَهُمْ،
وَ سَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ،
فَلَمْ يَرْفَعُوا أَبْصَارَهُمْ فَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَحَصَبَهُمْ بِهَا
وَ قَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»
فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ حَصَاةٌ مِنْ حَصَاتِهِ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا.
❍أي: (و) اذكر أيها الرسول، ما منَّ اللّه به عليك.

(وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

حين تشاور المشركون في دار الندوة فيما يصنعون بالنبي ﷺ

(لِيُثۡبِتُوكَ)

إما أن يثبتوه عندهم بالحبس و يوثقوه.

(أَوۡ يَقۡتُلُوكَ)

و إما أن يقتلوه فيستريحوا – بزعمهم – من شره.

(أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ)

و إما أن يخرجوه و يجلوه من ديارهم.

(وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ)

* الميسر:و يكيدون لك، و ردّ الله مكرهم عليهم جزاء لهم،
ويمكر الله،

(وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ)

فكلُّ أبدى من هذه الآراء رأيا رآه،فاتفق رأيهم على رأي:-

رآه شريرهم أبو جهل لعنه اللّه،

و هو أن يأخذوا من كل قبيلة من قبائل قريش فتى و يعطوه سيفا صارما،

و يقتله الجميع قتلة رجل واحد، ليتفرق دمه في القبائل.

فيرضى بنو هاشم ثَمَّ بديته،

فلا يقدرون على مقاومة سائر قريش،

فترصدوا للنبي ﷺ في الليل ليوقعوا به إذا قام من فراشه.

فجاءه الوحي من السماء، و خرج عليهم، فذرَّ على رءوسهم التراب و خرج،

و أعمى اللّه أبصارهم عنه،

حتى إذا استبطؤوه جاءهم آت و قـــــال:-

خيبكم اللّه، قد خرج محمد و ذَرَّ على رءوسكم التراب.

فنفض كل منهم التراب عن رأسه،

و منع اللّه رسوله منهم،

و أذن له في الهجرة إلى المدينة،فهاجر إليها،

و أيده اللّه بأصحابه المهاجرين و الأنصار،

و لم يزل أمره يعلو حتى دخل مكة عنوة، و قهر أهلها،

فأذعنوا له و صاروا تحت حكمه، بعد أن خرج مستخفيا منهم،

خائفا على نفسه.

فسبحان اللطيف بعبده الذي لا يغالبه مغالب.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى في بيان عناد المكذبين للرسول ﷺ:

(وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا)

الدالة على صدق ما جاء به الرسول.

(قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا)

*الميسر: قد سمعنا هذا من قبل،

(لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ)

*الميسر:القرآن

و هذا من عنادهم و ظلمهم،و إلا فقد تحداهم اللّه أن يأتوا بسورة من مثله،

و يدعوا من استطاعوا من دون اللّه،

فلم يقدروا على ذلك، و تبين عجزهم.

فهذا القول الصادر من هذا القائل مجرد دعوى، كذبه الواقع،

و قد علم أنه ﷺ أُمِّيٌّ لا يقرأ و لا يكتب، و لا رحل ليدرس من أخبار الأولين، فأتى بهذا الكتاب الجليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

(إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ)

***وَ هُوَ جَمْعُ أُسْطُورَةٍ، أَيْ: كُتُبُهُمُ اقْتَبَسَهَا،
فَهُوَ يَتَعَلَّمُ مِنْهَا وَ يَتْلُوهَا عَلَى النَّاسِ. وَ هَذَا هُوَ الْكَذِبُ الْبَحْتُ،
كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا قُلْ أَنزلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الْفُرْقَانِ: 5، 6]
أَيْ: لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَ أَنَابَ؛ فَإِنَّهُ يَتَقَبَّلُ مِنْهُ وَ يَصْفَحُ عَنْهُ.

(وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا)

الذي يدعو إليه محمد

(هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ)

قالوه على وجه الجزم منهم بباطلهم، و الجهل بما ينبغي من الخطاب.

فلو أنهم إذ أقاموا على باطلهم من الشبه و التمويهات ما أوجب لهم أن يكونوا على بصيرة و يقين منه،

قالوا لمن ناظرهم و ادعى أن الحق معـــــــه: –

إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له، لكان أولى لهم و أستر لظلمهم.

فمنذ قالوا: (وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ) الآية،

علم بمجرد قولهم أنهم السفهاء الأغبياء، الجهلة الظالمون،

فلو عاجلهم اللّه بالعقاب لما أبقى منهم باقية،

***كقوله﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾العنكبوت: ٥٣

***﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾الشعراء: ١٨٧

و لكنه تعالى دفع عنهم العذاب بسبب وجود الرسول بين أظهرهم،فقال:

(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ)

فوجوده ﷺبين أظهرهم أمنة لهم من العذاب.

و كانوا مع قولهم هذه المقالة التي يظهرونها على رءوس الأشهاد،

يدرون بقبحها، فكانوا يخافون من وقوعها فيهم،

فيستغفرون اللّه تعالى فلهذا قال تعالى:

(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

فهذا مانع يمنع من وقوع العذاب بهم، بعد ما انعقدت أسبابه

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

4648 عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ:-

اللّهُمّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقّ مِنْ عِنْدِك فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، "

فَنَزَلَتْ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [الأنفال: 34] " الآيَةَ ()

(وأنت فيهم) مقيم بينهم. (وهم. .) أي وفيهم بقية من المسلمين المستضعفين يستغفرون الله تعالى ويعبدونه / الأنفال 33 /. (وما لهم) وكيف لا يعذبهم إذا خرج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم من بينهم. (وهم يصدون) والحال أنهم ظالمون متعدون بمنعهم الناس من الدخول إلى بيت الله الحرام. (الآية) / الأنفال 34 /. وتتمتها {وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون}. (أولياءه) أهله وأصحابه الأحقين به. (المتقون) المؤمنون بالله تعالى العابدون له وحده والمصدقون برسله الملتزمون لشرعه]

وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ
أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ
صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ
تَكۡفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ
فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ
بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل
لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ
سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ
كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوۡاْ
فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ
أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾

(وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ)

أي: أي شيء يمنعهم من عذاب اللّه، و قد فعلوا ما يوجب ذلك،

(وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ)

و هو صد الناس عن المسجد الحرام، خصوصا صدهم النبي ﷺ و أصحابه،

الذين هم أولى به منهم،

***كقوله ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾البقرة: ٢١٧

و لهذا قال: (وَمَا كَانُوٓاْ)

أي: المشركون

(أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ)

- يحتمل أن الضمير يعود إلى اللّه، أي:–أوليـــــــاء اللّه.
- و يحتمل أن يعود إلى المسجد الحرام، أي: و ما كانوا أولى به من غيرهم.

(إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ)

و هم الذين آمنوا باللّه و رسوله، و أفردوا اللّه بالتوحيد و العبادة،

و أخلصوا له الدين.

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)

فلذلك ادَّعَوْا لأنفسهم أمرا غيرهم أولى به.

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

(وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ)

يعني أن اللّه تعالى إنما جعل بيته الحرام ليقام فيه دينه،

و تخلص له فيه العبادة،

فالمؤمنون هم الذين قاموا بهذا الأمر،

و أما هؤلاء المشركون الذين يصدون عنه،

فما كان صلاتهم فيه التي هي أكبر أنواع العبادات

(إِلَّا مُكَآءً)

أي: صفيرا

(وَتَصْدِيَةً)

و تصفيقا، فعل الجهلة الأغبياء، (((***و يطوفون بالبيت عراة)))

الذين ليس في قلوبهم تعظيم لربهم، و لا معرفة بحقوقه، و لا احترام لأفضل البقاع و أشرفها،

فإذا كانت هذه صلاتهم فيه، فكيف ببقية العبادات؟

فبأي: شيء كانوا أولى بهذا البيت من المؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون،

و الذين هم عن اللغو معرضون، إلى آخر ما وصفهم اللّه به من الصفات الحميدة، و الأفعال السديدة.

لا جرم أورثهم اللّه بيته الحرام، و مكنهم منه،

و قال لهم بعد ما مكن لهم فيه

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا)

و قال هنا (فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)

***يوم بدر من القتل و السبي

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى مبينا لعداوة المشركين و كيدهم و مكرهم،و مبارزتهم للّه و لرسوله و سعيهم في إطفاء نوره و إخماد كلمته،

و أن وبال مكرهم سيعود عليهم، و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله،

فقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ)

أي: ليبطلوا الحق و ينصروا الباطل،

و يبطل توحيد الرحمن،

و يقوم دين عبادة الأوثان.

(فَسَيُنفِقُونَهَا)

أي: فسيصدرون هذه النفقة،

و تخف عليهم لتمسكهم بالباطل،و شدة بغضهم للحق،

(ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً)

و لكنها ستكون عليهم حسرة، أي: نـدامـــــــة و خـــــزيا و ذلا

(ثُمَّ يُغْلَبُونَ)

و يغلبون فتذهب أموالهم و ما أملوا، و يعذبون في الآخرة أشد العذاب.

و لهذا قال: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ)

أي: يجمعون إليها، ليذوقوا عذابها، و ذلك لأنها دار الخبث و الخبثاء،

(لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ)

و اللّه تعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب،

و يجعل كل واحدة على حدة، و في دار تخصه،

○فيجعل الخبيث بعضه على بعض، من الأعمال و الأموال و الأشخاص.

*** يَمِيزُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ.وَ هَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّمْيِيزُ فِي الْآخِرَةِ،

***كقوله﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ﴾يونس: ٢٨

***وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّمْيِيزُ فِي الدُّنْيَا، بِمَا يَظْهَرُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَ تَكُونُ "اللَّامُ" مُعَلِّلَةً لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لِلْكُفَّارِ مِنْ مَالٍ يُنْفِقُونَ فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، أَيْ:- إِنَّمَا أَقْدَرْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ؛

*** {لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ} أَيْ: -

مَنْ يُطِيعُهُ بِقِتَالِ أَعْدَائِهِ الْكَافِرِينَ، أَوْ يَعْصِيهِ بِالنُّكُولِ عَنْ ذَلِكَ
***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ} الْآيَةَ [آلِ عِمْرَانَ:166، 167] ،
***وَ قَالَ تَعَالَى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} الْآيَةَ [آلِ عِمْرَانَ: 179] ،
***وَ قَالَ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [آلِ عِمْرَانَ: 142] وَ نَظِيرَتُهَا فِي بَرَاءَةَ أَيْضًا.
فَمَعْنَى الْآيَةِ عَلَى هَذَا: إِنَّمَا ابْتَلَيْنَاكُمْ بِالْكُفَّارِ يُقَاتِلُونَكُمْ،
وَ أَقْدَرْنَاهُمْ عَلَى إِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ وَ بَذْلِهَا فِي ذَلِكَ؛
لِيَتَمَيَّزَ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ، فَيُجْعَلَ الْخَبِيثُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ،

{فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا }

أَيْ: يَجْمَعَهُ كُلَّهُ، وَ هُوَ جَمْعُ الشَّيْءِ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي السَّحَابِ: {ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا} [النُّورِ:43]

أَيْ: مُتَرَاكِمًا مُتَرَاكِبًا،

{فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ }

أَيْ: هَؤُلَاءِ هُمُ الْخَاسِرُونَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

الذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

هذا من لطفه تعالى بعباده لا يمنعه كفر العباد و لا استمرارهم في العناد،

من أن يدعوهم إلى طريق الرشاد و الهدى،

و ينهاهم عما يهلكهم من أسباب الغي و الردى،

فقال: (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ)

عن كفرهم و ذلك بالإسلام للّه وحده لا شريك له.

(يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ)

منهم من الجرائم

*** صحيح البخاري

6921عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:-

قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِﷺ أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ؟

قَالَ: «مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلاَمِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَ مَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلاَمِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَ الآخِرِ»( )

***صحيح مسلم

121-قال النبي ﷺ لعمرو بن العاص:

«أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟

وَ أَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟

وَ أَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟»

(وَإِن يَعُودُوا)

إلى كفرهم و عنادهم

(فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ)

بإهلاك الأمم المكذبة، فلينتظروا ما حل بالمعاندين،

فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون،

فهذا خطابه للمكذبين ،

و أما خطابه للمؤمنين عندما أمرهم بمعاملة الكافرين،

فقال: (وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ)

أي: شرك و صد عن سبيل اللّه، و يذعنوا لأحكام الإسلام،

***حتي لا يُفْتن مسلم عن دينه

(نؤاخذ) نعاقب. (أحسن في الإسلام) استمر على دينه و ترك المعاصي

(أساء) ارتد. (بالأول) بما عمل حال الكفر. (الآخر) ما اكتسبه من معصية بعد إسلامه]

***صحيح البخاري

4651 - عن سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ:-

خَرَجَ عَلَيْنَا - أَوْ إِلَيْنَا - ابْنُ عُمَرَ،فَقَالَ رَجُلٌ: كَيْفَ تَرَى فِي قِتَالِ الفِتْنَةِ؟

فَقَالَ: وَ هَلْ تَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ «كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺيُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ،

وَ كَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً وَ لَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى المُلْكِ»( )

(وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ)

***أن يقال الا اله الا الله

*** صحيح البخاري

25 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَ يُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ،

فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ،

وَ حِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»( )

❍فهذا المقصود من القتال و الجهاد لأعداء الدين،

أن يدفع شرهم عن الدين،

و كأنه يقصد أن يقول ما يمنعك من القتال مع أن الله تعالى أمر به في تلك الآية]

(أقاتل الناس) أي بعد عرض الإسلام عليهم. (يشهدوا) يعترفوا بكلمة التوحيد أي يسلموا أو يخضعوا لحكم الإسلام إن كانوا أهل كتاب يهودا أو نصارى. (عصموا) حفظوا وحقنوا والعصمة الحفظ والمنع. (إلا بحق الإسلام) أي إلا إذا فعلوا ما يستوجب عقوبة مالية أو بدنية في الإسلام فإنهم يؤاخذون بذلك قصاصا. (وحسابهم على الله) أي فيما يتعلق بسرائرهم وما يضمرون]

و أن يذب عن دين اللّه الذي خلق الخلق له،

حتى يكون هو العالي على سائر الأديان.

(فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ)

عن ما هم عليه من الظلم

***بِقِتَالِكُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَكَفُّوا عَنْهُ وَ إِنْ لَمْ تَعْلَمُوا بَوَاطِنَهُمْ، {فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التَّوْبَةِ:5] ،
وَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التَّوْبَةِ:11]

(فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ)

لا تخفى عليه منهم خافية.

(وَإِن تَوَلَّوۡاْ)

عن الطاعة و أوضعوا في الإضاعة

***وَ إِنِ اسْتَمَرُّوا عَلَى خِلَافِكُمْ وَ مُحَارَبَتِكُمْ،

(فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ)

*** سَيِّدُكُمْ وَ نَاصِرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ،

(نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ)

الذي يتولى عباده المؤمنين،

و يوصل إليهم مصالحهم،

و ييسر لهم منافعهم الدينية و الدنيوية.

(وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ)

الذي ينصرهم، فيدفع عنهم كيد الفجار، و تكالب الأشرار.

و من كان اللّه مولاه و ناصره فلا خوف عليه،

و من كان اللّه عليه فلا عِزَّ له و لا قائمة له.